

روايات مصرية للجيب

قضية جزيرة الأشرار

سلسلة القاز بوليسية مثيرة للخيال



www.liilas.com/vb3
^ RAYAHEEN ^

مغامرات * كرات

سلسلة القارئ يولييسية مشجيرة بنسب
نمط الحفل وتسمى الشكر والدعاء ..



المراتب



د. نيل فاروق

القصة جزيرة الأضواء
منظمة رهبة اسرور
المفردات ، أعادت كميًا
لرجال الشرطة ، ومطبخ
رهبة هم ، على جزيرة
(شلون) ..

• كيف يواجه (عبادل
السرور) و (عصام كامل)
مثل هذه المنظمة الرهبة ؟
• اقرا التفاصيل المثيرة ،
واقفل الجريمة مع فريق
(٢٠٠) الجديد ..



STAR BOOKS



22960048

مطبعة ج ٢٠٠٢

KWD 0.250

سلسلة
القصة العربية الحديثة
الطبعة الأولى ٢٠٠٢

العدد القادم

٣ رعيم الثعالبي

٢ × ٤

سلسلة ألغاز بوليسية ، تجمع ما بين
الغموض والإثارة والحركة ،
وتسبح بنا - في كل مرة - في عالم
جديد ، يسعى كل أبطاله - على
اختلاف ألوانهم - إلى مكافحة
الجريمة ، والسعى إلى تحقيق
العدالة ، وجميعهم يحملون شعاراً
واحداً.. شعار (٢ × ٤)

د. نبيل فاروق

١ — خبطة صحفية ..

هذا ذلك الصباح جيلاً مشرقاً ، بالنسبة للصحفي (عصام كامل) ، الذي استيقظ في الساعة صباحاً كمعادته ، وغادر فراشه في نشاط ، وفجح نافذة حجرة نومه ، وملأ صدره بالهواء ، وهو ينسم هائفاً في ارتياح :

— ليس هناك ما هو أجمل من هراء الصباح المتعش النقي .
لم يكذب بتم عبارته ، حتى تسلمت إلى أنفه رائحة عوادم السيارات ، التي بدأت تملأ الطرقات ، وتضاعد إلى أذنيه صوت أبواقها المرتفعة ، فعقد حاجبيه ، ومطّ شفيه ، مكتملاً عبارته :

— في جزيرة نائية .

وأغلق زجاج النافذة ، وانطلق إلى المطبخ ، فأشعل الموقد ، ووضع فوقه إبريق الشاي ، وذهب ليستحم في سرعة ، ثم يعود ليصب لنفسه قدحاً من الشاي ، يرتشفه في استمتاع ، وهو يرتدى ثيابه ، وقد امتلأت نفسه كلها بنشاط جم ، وإقبال على الحياة ، و.....

وفجأة ارتفع وبين الهاتف ، فقفز نحوه ، والقط سقاهه ،
قاتلاً في نشاط :

— صباح الخير .. من المحدث ؟

جاءه صوت رئيس التحرير الرصين ، وهو يقول :

— صباح الخير يا (عصام) .. إنه أنا .

ارتفع حاجبا (عصام) في دهشة ، وهو يتف :
— مرحبا ياسيدى .. كم يسعدني أن يكون صوتك هو أول

ما أسمع في الصباح ، ولكن أى

قاطعته صوت رئيس التحرير في حزم :

— أأنت مستعد لمهمة صحفية جديدة يا (عصام) ؟

شذبت العبارة حواس (عصام) ، فقال في حماس :

— إني مستعد دوماً ياسيدى .

عُيِّل إليه أن صوت رئيس التحرير يحمل ابتسامة ، وهو
يقول :

— كنت أتوقع ذلك .

ثم أُرْدِف في جدية واهتمام :

— لقد علمت من صديق لي ، يرأس أحد أقسام مكافحة

الغدرات ، أن هناك حملة خاصة ، لإلقاء القبض على بعض كبار

مهربى الغدرات ، بعد ساعة واحدة ، في جزيرة (شدوان) .

ولقد فُكِّرَتْ أن تصحب رجال الحملة ، و.....

قاطعته (عصام) ، وهو يتف في حماس :

— متى وأين ؟

أجابته رئيس التحرير :

— سيصل إليك الرائد (فريد عثمان) بعد لحظات ، حيث

سيصحبك إلى مطار حرقى قريب ، ومن هناك ستقلكما

هليكوبتر حربية إلى الجزيرة .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى ارتفع وبين جرس باب منزل

(عصام) ، فهبط هذا الأخير في حماس :

— لقد وصل ياسيدى .

أجابته رئيس التحرير في هفة :

— اسمع يا (عصام) ، خذ آلة التصوير معك .. أريد

منك أن تغطي كل لحظة ، وكل ثانية ، وكل دقيقة ، و.....

قاطعته في حماس :

— سأفعل ياسيدى .

ودون أن يتجه إلى مخالفة ما يفعله لقواعد الذوق واللياقة ،

أعاد سماعه الهاتف ، وأسرع نحو الباب ، ولم يكذب يفتحه ،

ويلمح أمامه شاباً وسيماً ، في زى رائد شرطة ، حتى هبط :

— إنني مسعد .

اجسم الرائد (فريد) ، وقال لي هدوء :

— لا بأس .. هيا بنا ..

استغرقت الرحلة ، من (القاهرة) إلى (شنوان) ، أقل من الساعة ، بالهليكوبتر ، ولم تكن الجزيرة تلوح في الأفق ، حتى سألت (عصام) الرائد (فريد) في اهتمام :

• — قل لي ، كيف يُفترض أنها حملة مفاجئة ، على حين انصل نحن بهليكوبتر عالية الصوت إلى الجزيرة ، وأنت ترتدى زياً رسمياً ، يُمكن تمييزه من على بعد كيلو مترات ؟
اجسم (فريد) ، وقال :

— اطمئن ، كل شيء معذ بدقة ، فهناك قاعدة عسكرية على الجانب الآخر من الجزيرة ، وقدوم الهليكوبتر أمر مألوف .

ارتفع حاجبا (عصام) في دهشة ، وهو يقول :

— قاعدة عسكرية ؟! .. كيف يجرؤ البعض على استخدام الجزيرة لتهديب القذرات ، في وجود قاعدة عسكرية ؟
تنهد (فريد) ، وقال :

— إنها ليست جزيرة عسكرية بأستاذ (عصام) .. إنها جزيرة عادية ، يرتادها الصيادون ، ويقصون بها بعض الأكواخ ، على الجانب الغربي ، حيث ترسو مراكب الصيد ، ولا شأن لهم بالقاعدة العسكرية في الجانب الشرق .
سأله في اهتمام :

— معنى هذا أن عملية التهريب مستمرة في الجانب الغربي .

أوماً (فريد) برأسه إيجاباً ، وقال :

— هكذا بلغنا الأمر

عصم (عصام) في دهشة :

— بلعكم ؟

أوماً (فريد) برأسه إيجاباً ، وقال لي هدوء :

— إن مهربي القذرات منظمات قوية للغاية بأستاذ (عصام) ، تدير أمورها بشكل بالغ الدقة والتنظيم ، ورجالها لا يعرفون الرحمة ، ويقدمون على القتل بجرأة الشك ، فهم يزاولون تجارة غير قانونية ، وعيفة ، وتبلغ عقوبتها حد الإعدام ، ثم إنهم يتعاملون بمبالغ ضخمة للغاية .

قال هذا والهليكوبتر يهبط على الجانب الشرق من الجزيرة ، فغادرها الاثنان ، وأسرع نحو سيارة تنتظرهما ، و (فريد) يتابع :

— والوسيلة الوحيدة لضبط عملية تهريب ضخمة ، هي معرفة توقيتها ومكانها بالضبط .

سألته (عصام) في حيرة ، وهو يلفظ معه داخل السيارة ، التي انطلق بها سائقها على الفور ، نحو الجانب الغربي :

— وكيف يمكن التوصل إلى ذلك ؟

لوح (فريد) بكفه ، وهو يقول :

— بالتفغل في صفوف المهربين .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

— أتقصد أن لكم الآن عميلاً وسط الصفوف ؟

ضحك (فريد) ، وهو يقول :

— إننا لا نستخدم هذا المصطلح هنا .. يكفي أن تقول إن

لنا رجلاً بين صفوف هؤلاء الأوغاد ، وهو الذي أبلغنا بأمر

هذه الصفقة ، التي يبلغ حجمها مليار دولار .

هتف (عصام) في ذهول :

— مليار دولار ؟!

مطأ (فريد) شفتيه في أسف ، وهو يقول :

— مليار دولار ضائعة للأسف .

توقفت بهم السيارة عند منطقة خالية ، تطل على شاطئ الجزيرة الغربي ، فأسرع الاثنان إلى حيث يختبئ عدد من رجال الشرطة ، وقال (فريد) في قلق :

— هل وصل المركب ياسيدي ؟

أجابته عقيد الشرطة (مختار) :

— ليس بعد .. إننا ننتظرها .

ثم استطرد في خفة :

— ها هي ذى .

التفت أنظار الجميع إلى حيث يشير ، ورأوا مركب صيد ،

تقترب من الشاطئ الغربي في هدوء ، وهي تحمل على مقدمتها

اسماً واضحاً ، بحروف كبيرة ..

اسم (القنارة) ..

وغمغم (فريد) في حماس :

— ها هي ذى (القنارة) تسقط في الفخ .

وضع العقيد (مختار) نظاره المقرب على عينيه ، وراح

يفحص المركب في اهتمام ، قبل أن يغمم في شك :

— عجباً !! لا يوجد أى مخلوق على سطحها .

أجابته رجل شرطة قريب :

— سجدتهم حقيقاً في قاعها ياسيدى .

غمغم العقيد (مختار) في قلبي :

— أنتظن ذلك ؟

أجابته في ثقة :

— بالتأكيد ياسيدى .. إنها ليست أول مرة .

ساد الصمت التام ، حتى رمت مركب الصيد على

الشاطئ الصخري ، وراحت الأمواج تداعبها في هدوء ،

والجميع يراقبونها في حذر ، حتى هب العقيد (مختار) فجأة :

— الآن ..

وهنا اندفع رجال مكافحة المخدرات ، من كل صوب ، نحو

مركب الصيد ، وهم يحملون مدافعهم الآلية ، وأحاطوا

بالمركب لحظة ، ثم لفز العقيد (مختار) والرائد (فريد) على

سطحها ، ومعهم عشرات الرجال ، على حين بقي (عصام)

مع بضعة رجال على الشاطئ ، وهو يلتقط الصور في لفحة

وسرعة ..

ولم تكن هناك مقاومة قط ..

بل لم يكن هناك رجال ..

كان المركب خالياً تماماً ..

ومال (عصام) على أحد الرجال ، يسأله في حيرة :

— ألا توجد مقاومة على الإطلاق ؟

تردّد الرجل لحظة ، ثم أجاب :

— هذا يحدث عادةً .. أعنى أنه توجد مقاومة في كل

الأحوال ، ولكنني لست أدرى لم لا توجد آلة مقاومة في هذه

المرّة ؟

سأله (عصام) في قلبي :

— ألا يحتمل أنها خدعة ؟

عقد الرجل حاجبيه ، وغمغم في توتر :

— خدعة ؟

صمت لحظة ، وكان الفكرة قد أفلتته ، ثم استطرد في

توتر بالغ :

— هل من المحتمل أن

وقبل أن يتم عبارته ، دوى الانفجار الرهيب ..

وفي لمح البصر ، انحطت (الفئارة) ..

تحولت بكل ما عليها ، ومن عليها ، إلى فتات ..

ودماء ..

٢ — المجزرة ..

كانت مفاجأة مذهلة ..

انتفجار أطلح بالعقيد (مختار) ، ومزق الرائد (فريد) ،
وحول عشرات من رجال الشرطة إلى أشلاء متناثرة ، ودماء
غزيرة ، ذابت في مياه البحر ، الذي استحق عن جدارة اسم
(البحر الأحمر) ..

ونجحت عن الانتفجار موجة هائلة ، من تضاعط الهواء ،
ألقت (عصام) والرجال المصاحبين له فوق الصخور ،
وحطمت آلة التصوير ، وأثارت زوبعة هائلة من الأتربة
والرمال والأدخنة ..

وصرخ أحد رجال الشرطة في أرتباك :

— لقد كانت خدعة !! .. كانت خدعة !! ..

وهتف آخر في ذهول :

— إننى لم أر شيئاً كهذا أبداً .. أبداً ..

وقف رجال الشرطة العشرة ، و (عصام) ، يحدقون في
المشهد المزم في ذهول ، وقد عجزوا تماماً عن تمييز أجساد
رفاقهم ، أو حتى بقاياها ، وسط بحر الدماء والشتايا ..

ثم تفجّر كل غضب أحدهم ، وهو يرفع مدفعه الآلى ،
صارخاً :

— لن يقتل هؤلاء الحقراء بفعلتهم .. سيدفعون الثمن .
وهنا فتح الجحيم أبراه ..
وكانت مجزرة حقيقية ..

انهالت الرصاصات من كل مكان ، على رجال الشرطة ..
انهالت كالطمر ..

وأصيب (عصام) بمزج من الرعب والذهول ، إزاء كل
هذا العنف ، الذى لم ير له مثيلاً في حياته كلها ، حتى عندما كان
يحارب (الموساد) ، مع جهاز صاحبت أمن الدولة في
السابق ..

وتساقط رجال الشرطة حوله ..

سقطوا وسط بركة جديدة من الدماء ، تكسّنت على
الشاطئ ..

وفجأة أصابه رصاصة في ساقه ، وأخرى في معدته ..

وتفجّرت الدماء من جروحه ..

(٥) راجع قصة (قضية قلب الجحيم) .. المأخرة رقم (٤٠) .

وتصاعد الألم في جسده كالتيوان ..
وسقط ..

ووسط صحابة من الأدخنة والرمال ، مكنت كل
الأصوات ، إلا من صوت أقدام تقترب ..
ومن عيين تقاويمان غيبوبة عميقة ، رأى (عصام) وجهها
بغيتنا ..

وجه رجل ضخم ، يتسم في سخرية ، زادت من غلظة
ملاعجه وعظفها ، ولوسوما ، وهو يحمل مدفعاً رشاشاً ، وينقل
بصره بين جثث الضحايا ..

ومن خلفه ارتفع صوت ، يقول :

— هيا يا (صفوان) .. فليبعد قبل أن يأتي الجيش ..

ضاقت عينا الغليظ ، وهو يديرهما في المكان ، بين جثث
الضحايا ، مرة أخرى ، ثم أطلق ضحكة بغيتنا ، وقال :

— هيا .. لقد كان الدرس قاسياً هذه المرة ..

وسمع (عصام) وقع أقدامهم يبعد ..

وسمع صوت زورق يخارى ..

ثم انتهى كل شيء ..

وهوى في هوة الظلام ..



ومن عيين تقاويمان غيبوبة عميقة ، رأى (عصام) وجهها بغيتنا ..

جاء الخروج مباهجاً ..

تجاشاً كالدعول ..

فجأة انقشع الظلام ، وتبدد الضمت ..

وعاد (عصام) إلى عالم الأحياء ..

وعادت الأصوات تتخذ شكل كلمات واضحة مفهومة .

ونبرات معروفة مألوفة . ففتح (عصام) عينيه ، فمغمضاً

في ألم :

— أين أنا ؟

رأى أمامه صورة وجه مهتر ، غير مميز ، لم تلبث ملامحه أن

انضحت تدريخياً ، وهو يقول :

— حمدا لله يا (عصام) .. لقد نجوت بأعجوبة .

رسم (عصام) على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم في

إعياء :

— هذا يدهشني أيضاً في الواقع . فالحزرة التي شهدتها هذا

الصباح ، تجعل من العجيب أن يبقى مخلوق واحد على قيد الحياة .

تتهجد العقيد (عادل محمود) ، وهو يغمغم :

— هذا الصباح ؟

ثم مال نحو (عصام) ورمت على كتفه في إنشقاق ،

مستطرذا في عطف :

— لقد حدث ذلك منذ أسبوع كامل .

ارتفع حاجبا (عصام) ، وهو يهتف في دهشة :

— أسبوع ؟

أوماً (عادل) برأسه إيجابياً ، وقال في عفوت ، وبسيرة

تجميع ما بين الحزن والألم :

— نعم يا (عصام) .. كان ذلك منذ أسبوع كامل ، ولقد

قضى الجميع نحسهم فيما عداك .. أنت الوحيد الذي نجا من

الموت ، وبأعجوبة ، فلقد عثر عليك رجال معسكر الجيش ،

عندما انتقلوا إلى مكان الحادث ، إلى الانفجار ، ودرى

الرصاصات ، وكنت مصاباً برصاصة في ساقك ، وأخرى في

معدتك ، وتم نقلك بالهليكوبتر على وجه السرعة ، إلى

مستشفى (السويس) ، حيث أجريت لك عمليات

جراحيتين ، تم بواسطتهما انتزاع الرصاصتين من جسدك ،

ولكنك كنت قد فقدت أكثر من لترين من الدماء ، فسم

وضعت داخل حجرة العناية المركزة لمدة خمسة أيام ، وأنت هنا

في حجرتك منذ يوم كامل .

أغلق (عصام) عينيه في ألم ، وهو يغمغم :

— وأين العقيد (مختار) ، والرائد (فريد) ؟

غمغم (عادل) في مراوة :

— كلهم ذهبوا يا (عصام) .. كلهم ذهبوا .

هتف (عصام) في ألم :

— اللعة !!

زفر (عادل) في عمق ، ونهى من طرف فرائش

(عصام) ، وهو يقول في جدية :

— إنها محزنة لم يحدث مطلقا في تاريخ الشرطة كله

يا (عصام) ، فقدنا فيها عشرة ضباط ، وستة وثلاثين جنديا ،

جميعهم القوا حتفهم ، بالإضافة إلى رجل شرطة سرى ، كان قد

اندس في صفوف شبكة المخابرات منذ عام كامل ، فقد عثرنا

عليه مذبوخا في منطقة نائية .

غمغم في ارتياح :

— يا إلهي !!

عاد (عادل) يواصل في توتر غاضب :

— وهكذا فقدنا كل شيء .. وصارت المسافة التي تفصلنا

عن هؤلاء المجرمين أبعد مما كانت بأفمال ..

هتف (عصام) في حق :

— أتعنى أنهم سيفلتون بقلوبهم الخفيفة ؟

صمت (عادل) ، وشرد ببصره طويلا ، قبل أن يغمغم :

— سيحدث هذا حتما .. مالم ..

قاطعه (عصام) في ملحة :

— مالم ماذا ؟

عقد (عادل) حاجبيه ، واكتسى صوته بحزم وصرامة ،

وهو يجيب :

— مالم نصنع لهم .

هتف (عصام) :

— لن يكون ذلك عسرا ، فأنت تعرفونهم ، و.....

قاطعه (عادل) في حزم :

— الدليل يا (عصام) .

سأله في حيرة :

— ماذا تعني ؟

أجابته في صرامة :

— إننا نعرف معظم أفراد العصابة ، ولكننا نجهل أمرين ..

أولهما : هو من زعيم العصابة الحقيقي ؟ وثانيهما : كيف

يمكن الإيقاع بالعصابة كلها ، مع وجود دليل كاف لحاكتهم ؟

زاد الصمت لحظة ، ثم قال (عصام) في قوة :

سأله (عادل) في خلوت :

— ترى هل يوافق ذلك الرجل ؟

أجابه في حزم :

— بالتأكيد .

قالا بكل حزم وقوته وإصراره ..

وارتجف شيطان الشر ..



— وما الوسيلة لمعرفة ذلك ؟

التفت إليه (عادل) ، ونظّاع إلى عيبه لحظة في صمت .

ثم قال في حزم :

— أن يصبح لنا رجل آخر بين صفوفهم .

ثم (عصام) في خلوت ومهابة :

— رجل آخر ؟!

أوما (عادل) برأسه إيجابا ، دون أن ينس بيت شفة ،

فالتفت حاجبا (عصام) ، واستعاد ذهنه كل مشاهد اللدنية
الرهينة ..

صعود رجال الشرطة إلى المركب ..

الانفجار ..

انهيار الرصاصات كالنظر ..

بحر الدماء ..

الأنفلاء ..

وفجأة تألّقت عينا بريق حازم قوي ، وردّد في صرامة :

— رجل آخر .

٣ - الخطوة ..

كان يجلس هادئاً ، يطالع كتابها حديثاً في اهتمام ..
ولجأة بدأت أصابعه ترتجف ..
وشحب وجهه .

وسال حيط من اللعاب ، من طرف شفاهه ..
وانقلبت الارتجافة أصابعه إلى يده كلها ..
فلدراعه ..

فجسده ..
ثم تحولت الارتجافة إلى انقباضة قوية ..

وبدا يلمش ذراعيه في عطف ، وكأنها غمري عشرات
الدهقان تحت جلده ..

وزاغ بصره ..
وهنف فجأة :

— أريد جرعة دواء .. الآن .. أرجوكم .. الآن ..

الواقع حاجبا الطبيب ، الذي يراقب ذلك المشهد في
اهتمام ، ثم لم يلبث أن هتف في النهار :

— واقع يا أستاذ (عصام) .. واقع .. لقد لعبت دور
المدمن بمهارة فائقة ، حتى أنك تصدقني أنا نفسي ، لو لم أكن
أعلم أنك تفعل ذلك .. يا إلهي !.. لقد كان بإمكانك أن
تصبح مثلاً ، وليس صحفياً .

انهم (عصام) في ارتياح ، عل حين علق (عادل)
حاجبه ، وهو يسأل الطبيب في اهتمام :

— هل أقتك حقاً ؟

هتف الطبيب مبهوراً :

— بالتأكيد .

مال (عادل) نحوه ، وقال في حزم :

— اسمع أيها الطبيب .. هذا الأمر بالغ الخطورة ،

فسيكون عل (عصام) أن يؤدي ذلك المشهد ، في حضرة
عدد من أشهر القطة والسفاحل في العالم ، وسيكون عليه أن
يلتزمهم ثامناً ، وإلا فإنهم سيلجأونه بلاشفقة أورحة ، وهذا
يعنى أنه لا مجال للمجاملات ، فلو أنك ترى أى ضعف في
المشهد ، فليكن أن تشرحه لـ (عصام) ، وتطلب منه إعادته
عشرات المرات ، حتى يجيده ثامناً .

هتف الطبيب :

— لقد أجاده تمامًا بالفعل .

وصمت وهلة ، ثم استدرك :

— فيما عدا ..

هتف به (عادل) في الحفة وقلق :

— فيما عدا ماذا ؟

أجاب الطبيب في اهتمام :

— فيما عدا العرق ، الذي ينبغي أن يتصَّب على وجه

المدمن ، مع بداية التوبة ، وحتى آخرها ، وإن كنت أجهل

كيف يمكنه الفعل .

عقد (عادل) حاجبه مكتئبًا ، وهو يسأله :

— أهر حتى ؟

أوماً الطبيب برأسه إيجابيًا ، وغغم في أسف :

— أعشى أنه كذلك .

تهد (عادل) في عمق ، وقال :

— لا بأس .. سنبحث عن حل لذلك .

غادر المستشفى مع (عصام) ، الذي سأله في قلق ، وهو

يدلف داخل سيارته :

— كيف يمكننا الفعل العرق ؟

غغم (عادل) في شروء :

— دعني أفكر ، وانطلق بنا إلى الإدارة .

انطلق (عصام) بسيارته ، نحو إدارة مباحث أمن الدولة ،

وبقى صامًا معظم الوقت ، إلى أن قال :

— اسمع يا سيادة العقيد .. لقد وافقت منذ أسبوعين ، على

أن أكون رجلكم في تلك المنظمة ، ومنذ ذلك الحين ..

وبالحدود منذ مغادرتي المستشفى ، تلقيت تدريبات مكثفة في

هذا الشأن ، ويمكنني الآن التمييز بين عدد كبير من أنواع

التهديدات ، واختيار عشرة أنواع على الأقل من الهروبين ،

بمجرد الطوق ، وأتقنت تحليل دور المدمن ، إلا أنني أشعر في

هذه اللحظة ، أننا نواجه أصعب تحدٍّ ممكن ، فمن السهل أن

أفعل سيلان اللعاب من فمي ، في أثناء التوبة ، ولكن كيف

يمكن الفعل العرق ؟

تهد (عادل) ، وغغم :

— لست أدري .

هتف (عصام) :

— ومن المستحيل أن ألقى نفسي بين أيدي هؤلاء

الذئاب ، وأنا أعلم بوجود قصور رهيب في الخطة .

عادل (يعطهم في خلوت :

— بالطبع :

ثم لم يلبث أن اعتدل ، وأردف في حزم :

ولكنني سأترك حل تلك المشكلة للدكتور (حاتم) ، الخبير

الكيميائي بالإدارة .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد في عمق :

— إنه الآن أملنا الوحيد ..

كان الدكتور (حاتم) ، الخبير الكيميائي ، رجلاً هادئاً

الملاخ ، بسيط التعبيرات ، قصيراً ، نحيلاً ، استمع إلى العقيد

(عادل محمود) في هدوء ، ثم هز رأسه دلالة على الفهم ،

وقال في بساطة :

— إذن لكل ما تريدونه هو العرق .

أجابته (عادل) :

— بالطبع .

ابتسم الدكتور (حاتم) ابتسامة هادئة ، وقال :

— هذا أمر بسيط .

هتف به (عصام) في لفظة :

— ألدبك الحل ؟

ابتسم وهو يحجب :

— بالطبع .. إننا نحتاج إلى جرعة من (البروسيتامين) ،

و.....

ثم جر عبارته بغطة ، والتفت نحو صبران ضخم ، يحوى

عدداً هائلاً من الأذراج الصغيرة ، فتناول منه قرصين ، تاولهما

لـ (عصام) ، قائلاً :

— تناول هذين ، قبل ساعة واحدة من تلك اللحظة ، التي

تريد أن يتعصب فيها العرق على جسدك .

سأله في شغف :

— وهل سيتعصب ؟

ابتسمت ابتسامة الدكتور (حاتم) ، وهو يقول في هدوء :

— كالتلألآت ..

وكانت ابتسامته تحمل الثقة ..

كل الثقة ..

كانت الخطوة الأخيرة في قسم الأجهزة الإلكترونية ،

حيث سأل المهندس المسئول (عصام) في هدوء :

— هل تُلحَن يا أستاذ (عصام) ؟

أجابه (عصام) :

— كَلَّا .. لهذا ضروري ؟

ابتسم المهندس ، وهو يقول :

— ليس ضرورياً بالطبع ، وإنما سألتك ، لأحدد أى نوع من آلات التصوير الخفية يصلح معك .

غمغم (عصام) مشدوهاً :

— آلات تصوير خفية ؟

أجابه المهندس فى هدوء :

— بالطبع ، فليس عليك سلفظ عبور رجال العصابة ،

بآلة تصوير عادية ، وتطالبهم بالإتصاف أيضاً .

ثم التقط عدة أدوات عادية ، وضعها أمام (عصام) ،

فأثلاً :

— لدى هنا آلة تصوير على هيئة قِذَاحَة ، وأخرى بشكل

ساعة يد ، وثالثة على هيئة دبوس صدر ، و.....

فأطعته (عصام) فى هدوء :

— سأخذ ساعة اليد .

مطَّ المهندس شففيه ، وكأنما لا يروى له أن يقاطعه

(عصام) على هذا النحو ، وغمغم :



والفت آخر صرمان ضخم ، يحوى عدداً هائلاً من الأذراج الصغيرة .

لجأول منه قرصين ، ناولهما له (عصام) ..

— هذا شأنك على أية حال .

ثم ناوله حافظه نفوذ جلدية ، مستطردًا :

— مارأيك في جهاز التسجيل الصوتي الصغير هذا ؟

تطلع (عصام) إلى الحافظة في ذهبة ، وهتف :

— رائع .

تهد (عادل) في ارتياح ، وقال :

— لقد كانت هذه هي آخر خطوة يا (عصام) .

واكتسى صوته بالحزم ، وهو يستطرد :

— والآن سيبدأ العمل الجاد .. ستلقى نفسك غدا في قلب

جهنم ..

وصمت لحظة ، ثم أردف في قوة :

— وسبدأ الحطة ..

٤ — البداية ..

قرأ (هاشم مندور) ، صاحب شركة المقارنات الكبرى ،
تلك البطاقة ، التي أحضرها له مدير مكتبه ، وعقد حاجبه في
اللق ، مغمضًا :

— (عصام كامل) الصحفي ؟ .. ماذا يريد بالثري ؟

أجابه مدير مكتبه في مهابة :

— يقول إنه يريد الحصول على حديث صحفي معك
بأسبدي .

ازداد انعقاد حاجبي (هاشم) ، وهو يغمغم :

— حديث صحفي ؟

وصمت طويلاً ، وهو يفكر في عمق ، حتى أن مدير مكتبه

قد شعر بالقلق ، فغمغم مرتبًا :

— ألتجّد له موعدًا فيما بعد ؟

التفت إليه (هاشم) بحركة حادة ، وهو يقول :

— كلاً .

ثم استعاد هدوءه دفعة واحدة ، مستطردًا :

— ما سبقه الآن .

الحنى مدير المكتب ، وهو يغمغم :

— كما تأمر يا سيدي .

ثم أسرع بفعل الأمر ، على حين عاد (هاشم) يغمغم في قلق :

— (عصام كامل) ؟

كان يصلح مثلاً ناجحاً بحق ، فعل الرغم من كل حيرته ، وكثرة التساؤلات ، التي غلغ غلغ ، وتوتره الشديد ، إلا أنه لم يكذب بلمح (عصام) ، وهو يدلغ إلى مكبته ، حتى ألقى كل هذا وراء ظهره ، ورسم على شفتيه ابتسامة هادئة واسعة ، وهو ينهر لاستقبال (عصام) ، هاتفاً :

— أستاذ (عصام كامل) . ياله من شرف أن تأتي إلى مكنتي !!

صافحه (عصام) ، وهو يغمغم :

— إنه شرف لي يا سيدي (هاشم) .

انطلقت عينا (هاشم) في اهتمام ، ما بين ابتسامة (عصام) الباهتة ، وشعيرات ذقنه نصف النامية ، وشحوب وجهه ، وارتجاف أصابعه ، واضطرابه الواضح ، وهو يقف أمامه ، وبداله كل هذا مأثوفاً ، وهو يقول له :

— اجلس يا أستاذ (عصام) .. تفعل .

لاحظ في اهتمام كيف تصاعقت ارتجاف أصابع (عصام) ، وهو يجلس أمامه ، ويتطلع إليه بعينين زائغتين ، فعاد يستطرد في هدوء :

— ما الذي يمكنك أن أفعله لك بالتعب يا أستاذ

(عصام) ؟

غمغم (عصام) في ارتباك :

— إنه حديث صحفي تقليدي ، عن أزمة الإسكان في

(مصر) ..

قاطعه (هاشم) فجأة :

— أزمة الإسكان ؟ .. عجباً !! .. وما صلة صحفي

ناجح ، بدوي تحقيقاته البوليسية في (مصر) كلها ،

بالأحاديث عن أزمة الإسكان ؟

غفل إليه أن محابة كثيفة من حزن دفين ، قد مرّت بعيني

(عصام) ، وهو يغمغم في شحوب :

— لم تعد هناك تحقيقات بوليسية .

اعتدل (هاشم) بحركة حادة ، وهو يهتف :

— ماذا ؟ ..

ثم انعقد حاجباه في تساؤل واضح ، مردفاً :

— لماذا ؟

بداله (عصام) مرتبكاً تماماً ، وهو يفهم :

— يقولون إنني لم أعد .. لم أعد ..

هتف (هاشم) يستحله على الجواب :

— لم تعد ماذا ؟

تردد (عصام) طويلاً ، قبل أن يجيب في خفوت ، وبلهجة

تحمل قدراً هائلاً من المرواة :

— لم أعد أصلح لذلك .

ارتفع حاجبا (هاشم) في دهشة ، وتراجع في مقعده .

هائلاً :

— لم تعد تصلح لذلك ؟

أثار انتباهه في شدة تلك الارتجافة ، التي بدت في شفتي

(عصام) وأصابعه ، وضاحت حدائقه ، وهو يتطلع إلى ذلك

العرق الغزير ، الذي بدأ ينبع من مسام (عصام) ، ويتصبب

على وجهه الخشن ، وسمع صوت (عصام) المرتجف ، وهو

يقول :

— هل .. هل يمكنني الذهب .. الذهاب إلى .. إلى دورة المياه ؟

مال (هاشم) نحوه ، وهو يسأله في صرامة :

— لماذا ؟

شحب وجه (عصام) في شدة ، وانتقلت الارتجافة من

أصابعه إلى جسده كله ، وهو يقول في عصبية :

— ليس هذا من شأنك .. إنه .. إنه شأني أنا .

وهنا فهم (هاشم) كل شيء ..

أو هكذا خيل إليه ..

ول حزم وصرامة ، أجاب :

— كلاً يا أستاذ (عصام) .. لست أسمح لك بالذهاب إلى

دورة المياه ..

هت (عصام) من مقعده ، وراح جسده كله يتنفض في

غف ، وهو يصرخ :

— لا بد أن أذهب .. لا بد .

أجابه (هاشم) في صرامة :

— لن تذهب .

حدق (عصام) في وجهه لحظة ، ثم صرخ :

— أيها الوغد .



وبعضية زائدة ، راح يفرغ محتويات جيوبه فوق المكتب .

وبعضية زائدة ، راح يفرغ محتويات جيوبه فوق المكتب ، وتركت عينا (هاشم) على ورفتين صغيرتين ، نحو مكان مسحوقاً أيضاً اللون ، ولم ينس بنت شقة ، عندما احتفظ (عصام) إحداها ، وفضتها في لحظة وعصية ، وأدناها من أنفه ، وراح يشم المسحوق ، ويستشقه في عصب ، ثم راح يلحس بقاياها على الورقة بطرف لسانه في لحظة ، قبل أن ينهار فوق أقرب مقعد ، ويهت في عصف ..

وهنا التفت (هاشم) الورقة الأخرى ، وفضتها في سرعة ، وتناول صنع ذرات من المسحوق ، على طرف أصابعه ، وتذوقه في اهتمام ، ثم هتف في صوت يجمع ما بين الظفر والدهشة :

— هيروين ؟

لم يتبه إلى أن (عصام) قد شَمَّ الورقة الأخرى الحالية في جيبه ، قبل أن يتظاهر بالاسترخاء التام ، وإن واصل العرق لتصبه على جبينه ووجهه ..

وهب (هاشم) من مقعده ، والدفع نحو (عصام) ، وجذبه من قميصه ، وهو يتخف في صرامة :

— مدمن ١٩ .. أنت مدمن إذن .. هذا هو السبب .. إنك لم تعد تصلح للتحقيقات البوليسية ، لأنك صرت مدمناً .

عجل إليه أن (عصام) عل وشك البكاء ، وهو يهتف :

— أرجوك .. لا تغبر أحدا بذلك ، لاندثر مستقبل .

هتف (هاشم) في سخرية :

— ولكنك مدمن هيروين ، يا صفيى التحقيقات

البوليسية الشهير .. أنت الآن مجرّد عبد للمخدرات ، ولا بد

أن يعلم قراؤك ذلك .

تثبّت (عصام) بذراعه ، وهو يقول في ضراعة :

— أرجوك .. استدثر مستقبل .

صاح (هاشم) :

— وهل يكفى راتبك لذلك ؟

انهار (عصام) ، أو هو أجاد تقبيل دوره ، وهو يقول :

— كلّاً .. لم يعد يكفى .

ابسم (هاشم) في سخرية ، وقال :

— بالتأكيد .. إنه لن يكفى ليوم واحد .

أطرق (عصام) برأسه ، وهو يقول في مرارة :

— إننى أستدين ، وأحصل على بعض الرشاوى ، من أناس

يخشون سمعى السابقة ، في كشف الجرائم ، ولكن هذا لن

يستمر إلى الأبد .

تطلّع إليه (هاشم) في ازدواء ، ثم عاد إلى مكتبه ، وجلس

خلفه ، وعاد يتطلّع إليه في صمت يضع خطّات ، قبل أن

يقول :

— إذن فأنت تحتاج إلى وظيفة جديدة ، تمنحك دخلاً

جيداً ، يتيح لك شراء ما يلزمك من الهيروين .

غمغم (عصام) في مرارة :

— أين هى تلك الوظيفة ؟

صمت (هاشم) لحظة ، ثم اعتدل في مقعده ، قائلاً في

قوة :

— عندى .

(رفع (عصام) عينيه إليه في دهشة ، وهتف :

— عندك ؟؟

أجابته (هاشم) في حزم :

— نعم .. عدى الوظيفة المناسبة لك ..

هتف (عصام) في لفظة :

— إلنى بها إذن .. أنا رهن إشارتك ، منذ هذه اللحظة ..

مستقبل من عمل بالحريفة فوراً لو أردت ، و.....

قاطعه (هاشم) في حزم :

— كلاً .. الوظيفة التي أعرضها عليك تشترط بقاءك في
عملك كصحفي .

هاتف (عصام) :

— حسناً .. سأبقى .. سأبقى .. أين الوظيفة ؟

انضم (هاشم) في سفرة طافرة ، وقال :

— ليس الآن يا أستاذ (عصام) .. ليس الآن .. ستحصل

عليها بعد أسبوع واحد ..

هاتف (عصام) في دُعر :

— أسبوع كامل ؟ وكيف سأحمل هذا الأسبوع ؟

أجابته (هاشم) في حزم :

— ستحمل يا (عصام) .. ستحمل من أجل الوظيفة

بداله (عصام) منهاراً ، وهو يقول :

— سأحمل يا سيّد (هاشم) .. سأحمل ..

ولم يدرك (هاشم) لحظة ، وهو يلعب دور الصياد ، أنه قد

أنهم الطعم عن آخره ..

وأن اللعبة قد بدأت ..

٥ — الزعيم ..

ظل (هاشم) صامتاً يفكر ، لنصف ساعة كاملة ، بعد

انصراف (عصام) ، ثم نهض من خلف مكتبه ، وغصم في

شروء :

— ما من شك ..

ثم ضغط زر جهاز الاتصال الداخلي ، الذي يوصل مكتبه

بمكتب سكرتيرة الخاص ، وقال :

— أسمع يا (منير) .. أحجز لي جناح بـ (شيراتون)

الجزيرة .. نعم .. نفس الجناح المعتاد ..

وأبني الاتصال ، وتنهّد في عمق ، وهو يغصم :

— لا ينبغي أن أتحمّل مسؤولية هذا القرار وحدي .. لا بد

من استشارة الزعيم ، فإما أن ننضمّ الصحفي إلى صفوفنا ،

أو

صمت لحظة ، ثم أردف في عمق :

— أو نقتله ..

« رافع يا (عصام) .. لقد أنجزت عملاً رائعاً .. »
 هتف (عادل) بهذه العبارة في ظفر ، فارتسمت على شفاهي
 (عصام) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :
 — كيف ؟ .. إنني لم أقم سوى بعملية هزلية ، لإفحام ذلك
 الوغد بأنني قد أصبحت مدمناً للهويين .
 ضحك (عادل) ، وهو يقول :
 — ولقد أوقعه هذا في الفخ .
 هتف (عصام) :
 — أي فخ ؟ .. إنه يدور في داهية ، شديد الخدر .
 أوماً (عادل) برأسه إيماناً ، وقال في جدية :
 — إنه كذلك بالفعل .
 وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :
 — ولهذا السبب لن يضيع فرصة الإفحام بصحفي
 معروف ، يحوز شهرة عظيمة في مجال التحقيقات البوليسية ،
 عندما يجد أنه قد صار مدمناً .
 سأله (عصام) في اهتمام :
 — وما الذي يمكن أن يفعله ؟
 أجابه (عادل) :

— المهم أن يحزن انضمامك لهم ، عن طريق استغلال
 إدمانك للهويين ، وبعدها سيحاول أن يجعل منك عيناً على
 الشرطة .
 هتف (عصام) في استكبار :
 — جاسوساً .
 ابتسم (عادل) ، وهو يقول :
 — نعم .. جاسوس .
 ثم استطرد في جدية :
 — إنه سيمسح لاستغلال علاقاتك الوثيقة برجال
 الشرطة ، لجعل منك جاسوساً لهم ، تنقل إليهم أخبار رجال
 مكافحة المخدرات ..
 هتف (عصام) غاضباً :
 — إنه واهم .
 أجابه (عادل) في هدوء :
 — بل من أهم أن تطاوعه ، وتنقل إليه بعض أسرار إدارة
 مكافحة المخدرات .
 أطل الاستكبار عبقاً من عيني (عصام) ، فاستدرك
 (عادل) بسرعة :

— بعد انتقامها بالطبع .

صمت (عصام) لحظة ، ثم تنهّد ، قائلاً :

— إنه ليس بالأمر الهين كما تصوّر .. لقد كدّ أسقط

وعيًا ، عندما تناولت تلك الورقة ، التي تحوى مسحوق

السكر ، وتركت له الأخرى ، التي تحوى الميرون .. لقد

عشيت لحظة أن أخطئ ، وأفعل العكس ، فقد خيل إلي أنه

كان خليفًا يقتل على الفور ، وبلا رحمة .

ضحك (عادل) ، وهو يقول :

— ليس في مكبي .

زاد الصمت لحظة ، ثم غمغم (عصام) في نواذه :

— أنظرن أنه سيضمنني إلى الصفوف ؟

أجابته (عادل) في هدوء :

— ليس بإمكانه اتخاذ هذا القرار وحده .

هتف (عصام) في دهشة :

— كيف ؟!.. أليس الزعيم ؟

هو (عادل) رأسه تليًا في بطة ، وقال :

— لا.. إنه اليد اليمنى للزعيم .

غمغم (عصام) :

— يا إلهي !!.. من الزعيم إذن ؟

مطّ (عادل) شففيه في أسف ، وقال :

— إننا لم نوصّل إليه بعد .. للأسف .

ثم أودف في حزم :

— ولكن (هاشم) سيوجه إليه حتفًا ، ليعرض عليه

الأمر .

سأله (عصام) في حيوة :

— كيف يتجه إليه ، وهو شديد الحذر كما تقول ؟

ابتسم (عادل) ، وقال :

— إنه يخلّص أن يكون هاتفه مرآة ، وكذلك منزله ،

لذا سيحاول أن يلقى بالزعيم في مكان عام ، و.....

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين الهاتف ، فأسرع يلتقط

سماعته ، وهو يقول في لفقة :

— مكتب (م.ع.) .

صمت بعض الوقت ، وهو يستمع إلى محدّثه في اهتمام ، ثم

غمغم في انفعال :

— لا بدعه يغيب عن عينيك لحظة واحدة ، مهما

كان الثمن .

لم أنسى الاتصال ، ورفع إلى (عصام) عيين متألمتين ،
وهو يقول في حاس :

— لقد عرفنا مكان اللقاء .

هاتف (عصام) :

— أين ؟

أجابه في حاس :

— في فندق (شيراتون) الجزيرة .. الليلة .

هاتف (عصام) :

— كيف عرفتم ؟

أجابه (عادل) في انفعال :

— لقد حجز جناحاً بالفندق ، ليلة واحدة ، وهذا لا يهين

إلا شيئاً واحداً .

فست نظرائه ، وهو يردف في حزم :

— إنه سيلتقى الليلة بالزعيم .. الزعيم المجهول ..

تولفت سيارة (هاشم) القاعيرة ، أمام فندق
(شيراتون) الجزيرة ، وأسرع سائقها بغادر مقعده ، وينسج
بابها الخلفي لـ (هاشم) ، وهو يتحنن العناية مبالغة ، كادت

تضرب رأسه بالأرض ، مما أغرى خدم الفندق بأن يهرعوا نحو
السيارة ، وهم يأملون في منحة سخية من صاحبها ، نظير حمل
حقائبه إلى الداخل ، إلا أن (هاشم) حطّم أملهم هذا دفعة
واحدة ، وهو يقول في غطرسة صارمة :

— لا حقائب .

ثم تجاوزهم بخطوات واسعة حازمة ، واتجه نحو موظف
الاستقبال بالفندق ، وقال :

— هناك جناح محجوز باسم (هاشم مندور) .

كان من الواضح أن الرجل يعرفه جيداً ، فقد أسرع يقول :

— نعم يا (هاشم) بك .. إنه نفس الجناح المصعد ،
سيصحبك أحد الخدم ، و.....

قاطعه (هاشم) في صرامة :

— لا داعي .. إنني أعرف طريقي جيداً .

ثم اتجه نحو المصعد ، فأسرع خلفه ذلك الشرطي السري ،
الذي طالبه (عادل) بمراقبته ، ووقف إلى جواره هادئاً ، حتى
استقل الاثنان المصعد ، مع عدد من رواد الفندق ، وقال
(هاشم) لخدام الفندق في هدوء :

— الدور السادس من فضلك .

حفظ عامل الفندق كل الأذوار ، لينقل رُكّاب المصعد إلى أذوارهم ، وتوقف المصعد في كل الأذوار ، وفي الدور الرابع ، وبعد أن هبط الجميع ، وبدأت الأبواب تغلق آتياً ، وقبل لحظة واحدة من إغلاقها ، اندفع (هاشم) خارج المصعد ، بحيث يعجز أى مخلوق عن متابعه ، حتى أن الشرطي السري قد هتف في أعماقه :

— اللعبة !!

أما (هاشم) ، فقد غادر المصعد في سرعة ، في الطابق الرابع ، وأسرع يهبط في درجات السلم ، حتى الطابق الثالث ، وهناك تلفّت حوله جيّداً ، ليتأكد من أن أحداً لم يبعه ، وانجه إلى إحدى حجرات الطابق ، ودفع بابها ، ودلف إليها في سرعة ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، ثم انبسم وهو يتطّلع إلى الرجل الواقف أمامه ، والذي تطلّى الصرامة من عينيه ، وقال في ارتياح ومهابة :

— مرحباً .



ثم انهجه نحو المصعد ، فأسرع خلفه ذلك الشرطي السري ..

لم يمس الرجل بنت شفة ، وبدت نظراته شديدة
الصرامة ، فتلاشت ابتسامة (هاشم) ، وخفض عينيه ل
احترام ، مغمضاً :

— مرحباً أيها الزعيم ..

لقد كان يقف في حضرة ذلك الزعيم المجهول ..
زعيم أضخم شبكة تهريب مخدرات ، في العالم العربي كله ..



٦ — الثعلب ..

« اعطى !!... »

أطلق (عادل محمود) تلك العبارة ، بكل ما انفجر في
أعماقه من غضب ، وهو يستمع إلى القصة هاتفاً ، من شرطيه
السري ، قبل أن يستطرد ساخناً :

— كيف ؟! ألم أمرك بالآ تدعه يغيب عن نظرك أبداً ؟

أخبره الشرطي السري بما حدث ، فقال في حدة :

— ابق مكانك إذن ، ولا تغادر الفندق ، قبل أن يذهب

إلى جناحه .

وأعاد سماعه الهاتف في حلق ، فسأله (عصام) في قلق :

— هل هرب منهم ؟

لؤح (عادل) بذراعه في حدة ، وهو يقول :

— إنه لثعلب .

ثم استطرد في سخط :

— إنه يلتقي الآن بالزعيم حتمًا ، في واحدة من حجرات القديق ، ويمكنني أن أمر رجالي بمراقبة كل الطوائف ، وكل الحجرات ، ولكنني أخشى أن يفلت منا هذه المرة ، فيدرك أننا خلفه ، ونفقد عمليتنا كلها .

وأقبل الغضب من كل حلجة من حلجاته ، وهو يردف :
— ولكنه سيفق عن قريب .. سيفق حتمًا .

عقد الزعيم حاجيه ، وهو يستمع إلى قصة (هاشم) في اهتمام شديد ، حتى انتهى هذا الأخير من روايته ، فقال الزعيم في قلق :

— (عصام كامل) ؟!.. ألا يبدو لك الأمر أشبه بالخدعة ، خاصة مع صحفي أسقط عشرات الرجال ، مثل (عصام) ؟

أجابه (هاشم) في حماس :

— كلاً أيها الزعيم ، فهو مدمن .

سأله في ريبة :

— أأنت والقي من هذا ؟

هتف (هاشم) :

— بالتأكيد أيها الزعيم ، إنني أعرف المدمن فور رؤيته .. لقد حاجته النوبة في مكنتي ، وأنا لا أعطي معرفة نوبة إدمان مطلقًا ، فهناك العرق الغزير ، والأرتعاف ، وسيلان اللعاب ، و.....

قاطع الزعيم مغفغفًا :

— نعم .. هناك العرق .

وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يفكر في عمق ، فلاحظ (هاشم) بالصمت مهابة واحترامًا ، حتى سأله الزعيم في اهتمام :

— وكيف تتصور أن يبيدنا ضم هذا الصحفي إلى صفوفنا ؟
أجابه متفعلًا :

— إنه صديق لعدد من رجال الشرطة ، يحكم عمله في قسم الحوادث ، ويحوز شهرة رائعة في عالم مكافحة الجريمة ، مما يجعلهم يتقنون به تمامًا ، إلى الحد الذي يكفي لمعرفة أسرارهم ، ومواعيد حركاتهم على الأقل .

عقد الزعيم حاجيه متشككًا ، وهو يقول :

— ولكنك تقول إنهم يعتبرون أنه لم يعد صالحًا لقسم الحوادث .

ابنسم (هاشم) في لفة ، وهو يقول :

— هذا لأن عقله قد صار مضطرباً ، قلقه الدائم ، وبخه الدائب عن النشود اللازمة ، لشراء الميرون ، أما لو ضمن جرعته بالنظام ، دون أن يدفع قرشاً واحداً ثمنها ، فيعود إليه هدوءه ، و يعود إلى عمله ، وسيفعل كل ما تأمره به ، لأنه سيخشى كثيراً أن يفقد مصدر الخمر ، ثامناً ككل المدمنين ، الذين يفعلون أي شيء في الوجود ، مقابل جرعة واحدة .

قال الزعيم :

— فكرة معقولة .

ثم استدرك في صرامة :

— لو أن هذا الصحفي لا يندعنا .

هز (هاشم) رأسه نفيًا ، وقال :

— لقد أرسلت رجالي يتحرّون في مكتبه ومكتبه ، ولقد

أجمع الكل في الجهتين ، على أنه تبدّل تمامًا ، منذ شهر كامل ، بحيث صار شاحناً ، كثير السهر ، دائم النسيان ، حتى أنه يخشى أن يستقل سيارته .

غمغم الزعيم :

— معقول ..

ثم التفت إلى (هاشم) ، مسطرحاً في لفة حازمة :

— ولكن هذا لا يكفي لقبوله في صفوفنا .. إنه يحتاج إلى

اختبار قوى حاسم .

سأله (هاشم) في اهتمام :

— كيف ؟

أجابته في لفة غامضة :

— سأعبرك أنا كيف .. المهم أن تفد ما أعبرك به حرفياً ،

وبعدها مضح لنا نوابها ذلك الصحفي ، فلما أن يعمل

حساباً ، أو ...

أو يخف صوته بشراصة مفاجئة فجأة ، وهو يردف :

— أو يموت ..

كان الشرطي السري يشعر بالخزي والعار ، بعد أن فقد أثر

(هاشم) تمامًا ، وراح يبط بمصعد الفندق في حلق ، عندما

تولّف المصعد في الطابق الثالث ، وانفتحت أبوابه آتياً ..

وفجأة دق قلب الشرطي السري في عنف ..

لقد تولّف المصعد لـ (هاشم) ، الذي ذلف إليه ، وهو

يقول في هدوء :

— مساء الخير .

وبسرعة أدرك عقل الشرطي السرى الأمر ، فأجاب في
هفئة :

— مساء الخير .. سأغادر المصعد هنا .

ول خطوة واحدة ، كان خارج المصعد ، وتركه بسيط
بـ (هاشم) ، ثم وقف بطلقت حوله في هفئة .
لقد كان (هاشم) هنا إذن ..

لقد التقى بالزعيم المجهول في إحدى حجرات الطابق
الثالث .

لم يكن هذا الخاطر يجرى بذهنه ، حتى اندفع نحو السلم ،
ليستعلم من مكتب الاستقبال عن المقيمين بالطابق ، وما إن
هبط عدة درجات ، حتى راوده خاطر بأن الزعيم قد يغادر
الحجرة الآن ، لو أنه لم يغادرها قبل (هاشم) ، فعاد أدراجه
بحركة مباغتة ، و.....

واصطدم فجأة برجل متين البنيان ، صاح به غاضباً :

— انتبه يا رجل .

غمغم الشرطي معتذراً :

— معلومة .. لقد .

ثم بر عبارته ، ليهبط بهفئة :

— قل لي .. من أين أنت ؟

حذق الرجل في وجهه بدهشة ، وهو يقول :

— وما شأنك أنت ؟

كاد الشرطي يخبره بطبيعة مهمته ، إلا أنه قاوم ذلك ، وهو
يقول :

— إنه مجرد سؤال .. لقد أردت أن أسألك عن شخص
ما لمحت .

بدا الشك على وجه الرجل ، وهو يقول :

— لقد هبطت من الطابق السادس

سأله الشرطي في دهشة :

— ولماذا لم تسقط المهبط ؟

أجاب الرجل في حدة :

— لأنه من الضروري أن أمر بكل طوارئ الفندق في أثناء

هبوطي ، وقبل أن تلقى سؤالاً آخر ، ينبغي أن تعلم أنني أفعل

ذلك ، لأن هذا عمل ، فأنا مسئول الأمن بالفندق .

كانت مفاجأة للشرطي ، الذي هتف :

— يا إلهي ! نحن زميلان إذن .. أنا أيضاً شرطي .

ثم مال نحوه ، سأله في اهتمام :

— قل لي .. هل غادر أحد الطابق الثالث ؟

أجابته الرجل في حزم :

— لم يغادره سواك .

سأله الشرطي في لهفة :

— من يقيم به الآن ؟

عقد مسئول الأمن حاجبيه ، وقال بعد وهلة من التفكير :

— إن معظم حجراته خالية الآن ، فلما في موسم سياحي

كما تعلم ، ولكن يقيم به عدد من الأجانب ، وملحن مصري

معروف ، هو الأستاذ (بديع النحى) ، والملياردير الشهير

(حامد منصور) ، الذي يقيم هنا بصفة دائمة .

تأملت عينا الشرطي ، وهو يقول في لهفة :

— ملياردير ؟

ثم صافح مسئول الأمن في حرارة ، هاتفا :

— شكرا يا رجل .. شكرا جزيلًا .. ولكن قل لي ..

ما اسمك ؟. لقد أنشأت المرقف أن أسألك إياه .

أجابته مسئول الأمن في حيرة :

— اسمي (فوزاد) .. (فوزاد رشدي) .

عاد الشرطي بصافحه في حرارة ، هاتفا :

— شكرا يا (فوزاد) .. شكرا أيها الزميل .

ثم أسرع يخط في درجات السلم قفزا ، واندفع نحو أول

هاتف قابله ، وطلب رقم الإدارة ، ولم يكده يسمع صوت

(عادل محمود) ، حتى هتف في ظفر :

— سيدي .. لقد عرفته .. عرفت اسم الزعيم المجهول ..

www.liilas.com/vb3



٧ — الاختبار ..

التفت عينا (عصام) في زهول ، عندما استمع إلى اسم
الزعيم المجهول ، من بين ثلثي (عادل) ، ثم لم يلبث أن هتف
في استنكار عفيف :

— مستحيل يا (عادل) !! مستحيل !!

أجابته (عادل) في هدوء :

— لا يوجد مستحيل ، في عالم تجارة المخابرات يا (عصام) ،
فلو أن زعماء تلك المنظمات يمكن الشك فيهم ، ما ظلوا دوماً
مجهولين ، محاطين بقدر هائل من الغموض هكذا .

هتف (عصام) في زهول :

— ولكنني أعرف هذا الرجل .. أعرفه جيداً .

ابتسم (عادل) ، قائلاً في نهكهم :

— منذ متى تصادق المليارديرات يا عزيزي (عصام) ؟

قال (عصام) في عناد :

— إنه لم يولد مليارديراً ، فهو رجل عصامي ، نشأ من
الصفر ، ولقد كان صديقاً لأبي — رحمه الله — ولم تنه صداقتهما
أبداً ، حتى بعد وفاة أبي ، فلم يزل يتصل بي دورياً ، ويسألني
عما أحتاج إليه ، و.....



ثم أسرع يخط في درجات السلم قفزاً ، واندفع نحو أزل هاتف
قابله ، وطلب رقم الإدارة ..

قاطعه (عادل) في هدوء :

— أتجد ذلك دليلاً على برأته ؟

شحب وجه (عصام) ، وهو يفهم في مرارة :

— كلاً .

زأَن عليهما صمت مهيب ، إلى أن وضع (عادل) رأسه

على كتف (عصام) ، وقال في إشفاق ، يحمل رنة صرامة :

— اسمع يا (عصام) .. هناك درس ينبغي لك أن تتعلمه ،

وأن تسوِّجه جيئاً ، مادمت قد قرَّرت أن تلقى بنفلك كله ،

في مضمار مكافحة الجريمة ، ألا وهو ألا تسمح لمواطنك أبداً

بالتدخل في عملك .

غمغم (عصام) في حزن :

— كيف ؟ .. إنني أكافح الجريمة ، لأن عواطفني تدفعني إلى

ذلك .. كراهيتي للجريمة والمجرمين تجعلني أعاطر بحياتي

للقضاء عليهم .

رثت (عادل) على كنهه ، وقال :

— أقصد ألا تسمح لمشاعرك الشخصية بالتدخل في

العمل ، وإلا فقدت صفة الحيادية والعدالة .

غمغم (عصام) في مرارة :

— ولكن هذا الرجل .

قاطعه (عادل) في صرامة :

— إنه زعيم أكبر منظمة لترويج المخدرات في العالم العرف .

هتف معترضاً :

— هذا لم يثبت بعد .

قال (عادل) في حدة :

— وماذا لو لبت ؟

استمع وجه (عصام) ، ولبت صامتاً لحظات ، ثم أجاب في

مرارة :

— لست أدري .

وأغصر الحزن قلبه في عصف ، وهو يردف :

— حقيقة لست أدري .

وشرد ببصره لحظة ، ثم استطرد :

— اللهم أن تنجح الخطوة .. هذا هو هدفي الوحيد ..

استرخى المياردوير (حامد منصور) في شرفة جناحه

الفاخر ، بفندق (شيراتون) الجزيرة ، وراح يتطلع إلى بحر

النيل في ترواخ ، حتى سمع صوت طرقات هادئة ، على باب

الجناح ، فقال في تكامل :

— ادخل .

فتح الباب ، ودلف منه (فؤاد رشدي) ، مسئول الأمن
بالتفندق ، واتجه نحو الشرفة في خطوات هادئة ، ووقف خلف
(حامد) تماماً ، وهو يقول :

— مساء الخير يا (حامد) بك .. هل تطلب شيئاً قبل
الانصراف ؟

سأله (حامد) في تراجع :

— هل انتهت توبتك ؟

أجابته (فؤاد) في هدوء :

— نعم .. سأقتضى هذه الليلة في منزلي .

لوح (حامد) بكفه ، وهو يقول :

— اذهب إذن يا (فؤاد) .. صحبتك السلامة .

أحس (فؤاد) رأسه ، وهو يقول :

— شكراً يا (حامد) بك .

واستدار لينصرف ، ثم بدا وكأنه قد تذكر شيئاً ، فعاد
يقول :

— أه .. بالنسبة يا (حامد) بك .. لقد كان هناك

شرطي سري يرابط هذا الطابق ، ولقد سألتني عنك
باهتمام بالغ .

اعتدل (حامد) فجأة ، وسأله في دهشة :

— شرطي سري ؟

أوماً (فؤاد) برأسه إيجاباً ، فشحب وجه (حامد) ،
وعصم في توتر بالغ :

— وماذا يريد مني شرطي سري ؟

هز (فؤاد) كتفيه ، وهو يقول في هدوء :

— لست أدري .. ربما هي مجرد تحريات عادية .

عقد (حامد) حاجبيه في قوة ، وهو يغمغم :

— نعم .. ربما .

ثم عاد يلوح بكفه ، مستطرداً في عصبية واضحة :

— حسناً يا (فؤاد) ، شكراً لإبلاغك إياي .. يمكنكك

الانصراف .

عاد (فؤاد) يمس رأسه ، مغمغماً :

— شكراً يا (حامد) بك .

وانصرف بخطوات هادئة رصينة ، على حين بقي (حامد)

صامتاً ساكناً لحظات ، وهو يعقد حاجبيه في شدة ، ثم النطق

ساعة الهاتف . وهو يقول في توتر :

— هذا الأمر غير طبعى .. غير طبعى على الإطلاق ..
وكان على حق ..

استيقظ (هاشم مروان) من نومه ، بعد منتصف الليل
بعدة دقائق ، على رنين هاتفه ، المجاور للراشه ، فأسرع يلتفت
سماعه ، ويقول فى توتر بالغ :

— هنا (هاشم مندور) .. من تحدثت ؟

أتاه صوت زعيمه صارقاً قاسياً ، وهو يقول :

— إنه أنا يا (هاشم) .

احصفت الكلمات فى حلق (هاشم) ، من فرط المفاجأة ،
اللى أجمعت لسانه ، فلم يلف بحرف واحد ، ولقد بدا له وكان
الزعيم لم يكن يتظر هذا الحرف أو يحتاج إليه ، وهو يقول فى
حزم وانصباب :

— هذا فى نفس الموعد والمكان .

وقبل أن ينطق (هاشم) بحرف واحد ، كان الزعيم قد أنهى
المحادثة ، وعاد الهاتف يصدر ذلك الصوت الرتيب المألوف ،
الذى يصاحب رفع الساعة من جانب واحد ، فتصلب
(هاشم) لحظات ، وراح قلبه يثقب فى صنف ، قبل أن يفتح

الساعة فى بظه ، ويلتفت من فوق متضدة صغيرة ، مجاورة
للراشه ، غلبة سجاثر ، ويلتفت منها سجارة ، يدهنها بين
شفتيه ، ويشعلها فى آية ..

كانت أوّل مرة يطلب فيها الزعيم مقابلته ، فى يومين
متتالين ..

وأوّل مرة يتصل به هاتفياً ..

ولقد ألقاه هذا كثيراً ..

كثيراً جداً ..

وهو لم يتم لحظة واحدة ، حتى أشرقت الشمس ..

وكم عني لو أنه يتجاهل الذهاب إلى شركته هذا الصباح ،
ولكنه كان مضطراً للذهاب ، فقد كان يتظر لندوم
(عصام) ..

ولديه أوامر بيده الحطة اليوم ، بلا إبطاء أو تأخير ..

وأوامره تقتضى إما بقبول (عصام) بين الصفوف ، لو
أثبت الحطة صدقه ، أو قتله ، لو أثبت العكس ..

كان لقاء بين رجلين منهكين ..

أحدهما أنهكه السهر ، والثانى أنهكه التفكير فى شخصية
الزعيم المجهول ..

ولكن كليهما كان يتسم ..

وبابتسامة عريضة . استقبل (هاشم) (عصام) .
وصالحه قائلاً :

— صباح الخير يا أستاذ (عصام) .. كيف حالك اليوم ؟

ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وهو يهمهم :

— كيف حالك أنت ياسيد (هاشم) ؟

أجاب (هاشم) في هدوء :

— إنني لم أتم جيداً أمس ، ولكنني في حال جيدة على الأقل .

ارتجفت الكلمات على شفهي (عصام) ، وهو يقول :

— هل .. هل وجدت في ذلك العمل ياسيدي ؟

مطّ (هاشم) شففيه ، وهو يقول :

— على نحو ما .

سأله (عصام) في لغة واضحة :

— على أي نحو ؟

ابتسم (هاشم) في غموض ، وهو يقول :

— هذا يتوقف عليك .

هتف (عصام) في لهجة صارعة :

— إنني مستعد لعمل أي شيء .. مقابل .. مقابل ..

القط (هاشم) من درج مكتبه وريقة صغيرة ، أشبه

بتذكرة قطار ، وألقاها أمام (عصام) ، قائلاً في سخرية :

— مقابل هذا .

احتطف (عصام) الوريقة في لفظة ، وأسرع يفتتها ،

وتذوّق المسحوق الأبيض داخلها بطرف لسانه ، وهتف في

سراة :

— يا إلهي ياسيد (هاشم) !!.. إنه صنف نفى ممتاز .

أجاب (هاشم) في ازدياد :

— متحصل على مثلها كل يوم .

رفع (عصام) عينيه إليه في لفظة ، وهو يهتف في امتنان :

— آه .. سيد (هاشم) .. كيف يمكنك أن أشكرك ؟

هتف (هاشم) في سخرية :

— تشكركي ؟!.. إنها ليست هبة يا بني .. إنها ثمن العمل ،

الذي سأطلبه منك ، وجزء من راتب الوظيفة الجديدة ، التي

حدثتك عنها .

هتف (عصام) في انفعال ، وهو يضمّ الورقة إلى صدره في

لفظة :

— إنني لأفعل أي شيء مقابل هذا الشيء ياسيد

(هاشم) .

مال (هاشم) نحوه ، وهو يقول بحث :
— أى شيء ؟!

هفف (عصام) فى خفة :

— أى شيء ياسيد (هاشم) .. أى شيء ..

اعتدل (هاشم) ، وهو يقول :

— رالع .

واستد بذقنه إلى قبضته المضمومة ، وراح يتطلع إلى
(عصام) لحظات فى صمت ، ثم قال :

— اسمع يا (عصام) .. هل تعلم ماهو عمل بالضبط ؟

أجاب (عصام) باستمالة باهتة :

— أنت صاحب واحدة من أكبر الشركات العقارية فى

(مصر) .

غمغم (هاشم) ، وهو يتأمل فى اهتمام :

— فقط ؟

قال (عصام) فى حيرة :

— أتعنهن مهنة أخرى ياسيد (هاشم) ؟!

ظل (هاشم) يتأمل لحظات فى إمعان ، ثم قال :

— قل لى يا (عصام) .. ألك علاقة جيدة بضباط إدارة

مكافحة المخدرات ؟

بدت الدهشة على وجه (عصام) ، وهو يقول :

— مالىذى يعبه هذا السؤال ياسيد (هاشم) ؟ ..

هل .. هل ؟ ..

قال (هاشم) فى هدوء :

— هل ماذا ؟!

تردد (عصام) لحظات ، ثم خفض صوته ، وهو يقول :

— أتعلم فى تجارة المخدرات ياسيد (هاشم) ؟

تراجع (هاشم) فى دهشة وحذو ، على حين ارتبك

(عصام) ، وقال وهو يشير إلى رأسه :

— مغفرة ياسيد (هاشم) ، فهذا الشيء اللعين فوق

عفى ، يرفض التوقف عن التفكير .

صمت (هاشم) لحظة فى حيرة ، وهو يتأمل (عصام) ،

ثم عاد يميل نحوه ، قائلاً :

— لو أننى كذلك بالفعل ، فهل يصعب ذلك فأرفقا كبيراً

معتك .. أعنى فى موقفك ؟

صمت (عصام) لحظة ، ثم مدّ شفتيه ، ولوح بكفته ،

قائلاً :

— كلاً .

تراجع (هاشم) ، وارتفعت على شفتيه ابتسامة عريضة ، وهو يقول :
— عظيم .

ثم تشاغل بإشغال سيجارته ، وهو يستطرد في هدوء :
— اننى رجل أكره الرميات يا (عصام) .. كل أنواع الرميات ، حتى رجال الشرطة ، ودسهم لأنوفهم في شئ الأمور .. ولهذا فأنا أريد منك أن تخبرنى بمحركات رجال مكتب مكافحة المخدرات أولاً فأولاً .

هز (عصام) رأسه ، وقال :
— ولكن هذا أمر عسير ، فلديهم عشرات الفرق ، ولكل فرقة خطط سير محدود ، و.....

قاطعده (هاشم) في حزم :
— هناك مكان واحد يغيبى .
سأله (عصام) في هدوء :
— ما هو ؟

مال نحوه ، وقال في عبق :
— الشاطئ الغربى لجزيرة (شدوان) .. غدا في التاسعة مساءً .

غمغم (عصام) في اهتمام :

— أتريد منى أن أعلم ، إذا كانوا سيعدون حملة إلى هذا المكان ، في تلك الساعة ، أم لا ؟

اعتدل (هاشم) ، واتسم ابتسامة واسعة ، وهو يقول :
— بالطبع .

أوماً (عصام) برأسه موافقاً ، وهو يقول :
— هذا أمر بسيط .

ثم نهض من مقعده ، وقال في حاس :
— سأذهب إليهم على الفور .

شبك (هاشم) أصابع كفيه أمام وجهه ، واتسم وهو يقول :

— عظيم .

تولف (عصام) ، وتردد لحظة ، قبل أن يسأله :
— وماذا عن المكافأة ؟

عقد (هاشم) حاجبيه ، وهو يقول :
— أية مكافأة ؟!

ارتبك (عصام) ، وهو يغمغم :



والثقت خلفه في حركة حادة ، ثم اتسعت عيانه في دعر ، عندما وقعتنا
على وجه (صلفوان) ..

— أم تعدل بمكافأة سخية ، إلى جوار تذكرة المهيروين
اليومية ، و... ..

قاطعه (هاشم) بضحكة عالية ، وهو يقول :
— رابع .. إننى أحب التعامل مع من هم على شاكلتك ..
ستحصل بالطبع على مكافأة جيدة .. المهم أن يروق لي
العمل .

قال هذا ، وأدار عييه إلى الباب ، خلف ظهر (عصام) ،
وقال :

— ادخل يا (صلفوان) ، ولكن كان ينبغي أن تطرق
الباب أولاً .

تجمّدت الدماء في عروق (عصام) ، لدى سماعه هذا
الاسم ، والتفت خلفه في حركة حادة ، ثم اتسعت عيانه في
دعر ، عندما وقعتا على وجه (صلفوان) ..
وجه سفاح جزيرة (شدوان) ..

٨ - الشك ..

كانت مفاجأة غير متوقعة ، ل (عصام) ..

مفاجأة مخيفة ..

لقد أعاد إليه وجه (صفوان) ذكرى مذبة الجزيرة ..

تذكر مركب الصيد وهو يقترب ..

ورجال الشرطة يهاجمونه ..

والانفجار ..

تذكر مركة الدماء ، وشظايا المركب ، وأشلاء الضحايا ..

والرصاص المنهم كالنظر ..

وإصاباته ..

تذكر مصرع الجميع ، فيما عداه ، في مذبة

(شدوان) ..

ثم تولف المشهد عند وجه (صفوان) الغليظ ، القاسي

الملاح ، وهو يتجه نحو حيث ضحاياها غنائلاً كالطاووس ، حاملاً

مدفعه الآلى ، مزهواً بمجرمته التكرار ..

ولجأة انقض جسده ، عندما سمع (صفوان) يقول في

خشونة :

— مرحباً .. هل التقينا من قبل ؟

شعر (عصام) فجأة برعب هائل بملأ جسده ..

واحبست الكلمات في حلقه ..

كيف لا يذكر ذلك السباح أين التقيا ؟ ..

كيف لا يذكر ضحيته ؟ ..

يدو أن هذه هي سنة الحياة ..

القاتل ينسى وجوه ضحاياه ، ولكنهم يحفرون وجهه في

أرواحهم ، حتى بعد موتهم ..

وقيل أن عيب ، ارتفع صوت (هاشم) يقول :

— لا ريب أنك تعرفه يا (صفوان) ، فالأستاذ (عصام)

صحفى معروف

عقد (صفوان) حاجبه الكفين ، وانزع رأسه الأصمغ تحت

أنوار الحجرة ، وهو يتطلع إلى وجه (عصام) ، على نحو انقطع

له وجه هذا الأخير ، قبل أن يفهم :

— صحفى ؟

أجابه (هاشم) مبتسماً :

— نعم .. صحفى في قسم الحوادث .

قال (صفوان) في خشونة ، وهو لا يبعد عينه عن وجه

(عصام) :

— إننى لا أطالع الصحف ، ولكننى واتق من أننى قد رأيت
من قبل .

استجمع (عصام) شجاعته ، وقال فى صوت متحشرح :
— أنا أهدأ أعز أنا قد التقينا من قبل ، ولكننى لست أذكر
منى وأين ؟

ثم التفت إلى (هاشم) ، وقال :
— سأذهب على الفور بأسيّد (هاشم) .
وغادر المكان فى عخطوات سريعة ، و (صفوان) يتابعه
ببصره فى حيرة ، قبل أن يلتفت إلى (هاشم) ، قائلاً فى حزم :
— لقد التقيت به من قبل .
لوح (هاشم) بكفه ، وهو يقول :

— دعك من هذا ، واسمعى جيّداً ، أريد أن تذهب إلى
(شدوان) غداً صباحاً ، فى مركب الصيد الخاص بك ، وفى
ثياب صياد عجوز كالاعتاد .

سأذهب (صفوان) فى اهتمام :
— أهلك عملية خاصة غداً ؟
هزّ (هاشم) رأسه نفياً ، وقال :
— كلا .

ثم ابسم مستطرداً :
— هناك لعبة .

العقد حاجبا (صفوان) فى دهشة ، وهو يفهم :
— لعبة ؟

أجاب (هاشم) :
— نعم .. لعبة تحتاج منك إلى مراقبة جيّدة ، فإما أن
تؤدى فى نهايتها إلى أن تعمل مع ذلك الصلحى جنباً إلى جنب ،
أو.....

انتعت ابتسامته . وبدا جليلاً ، أقرب إلى من يلقي بدعاية
مرحة ، وهو يستطرد :
— أو تقتله بيدك .

بدا الضيق على وجه (عادل محمود) ، وهو يقول
لـ (عصام) فى مكعبه :

— هل أصابك هذا الأصلح الوغد بعقده نفسية ؟
تههّد (عصام) فى توتر ، وهو يقول :
— لست أدري .. إننى لم أكّد أراه ، حتى انتابى نفس
ذلك الرعب ، الذى أصابنى فى الجزيرة ، عندما لقي الجميع
مصرعهم .

قال (عادل) في صرامة :

— ينبغي أن تتغلب على ذلك الشعور ، فقد نجم الظروف
أن تقف في وجه ذلك الوغد يوقا .

انتم في شحوب ، وهو يغمغم :

— أظنى سأصاب برعب هائل حينذاك .

صاح (عادل) في غضب :

— خطأ .

لوح (عصام) بكفه ، قائلاً :

— حسنا حسنا .. فلندع ذلك لحينه .

ثم مال نحوه ، مردفاً في اهتمام :

— والآن قل لي ، ما معنى أن يلغى (هاشم) موعده

عملية تهريب المخدرات ، قبل أن يتأكد مني تمامًا ؟

تطلع (عادل) عبر نافذة حجراته ، وهو يقول :

— معناه أنه موعده وهمي .. مجرد اعتبار ثقة ، للتأكد من

أنك لن تبلغ الشرطة عنهم .

هبط (عصام) :

— يا لهم من لعاب !!

والله (عادل) بإجادة من رأسه ، وقال :

— إنهم ليسوا أغبياء بالتأكيد .

عاد (عصام) بسأله في اهتمام :

— ولكن لماذا تدور كل أفكارهم حول جزيرة

(شدوان) ؟

عقد (عادل) حاجبيه ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو

يقول في جدية بالغة ، تشف عن حيرته :

— ليس هذا هو السؤال العاقل الوحيد يا (عصام) ،

فهناك عدة أسئلة تثير حيرتي في شدة ، فلقد أحكمنا الحصار على

حدودنا ، وبذلنا أقصى جهدنا ؛ لمنع دخول تلك السموم

البضائية إلى (مصر) ، ولكنها — على الرغم من ذلك — تدخل

إلى البلاد بكميات هائلة ، دون أن ندري من أين ، ولا كيف

تأتي .

قال (عصام) في حيرة :

— ربما يتم تصديرها هنا .

لوح (عادل) بذراعه ، هاتفاً :

— مستحيل .. لقد فحصنا كل الأراضي المزروعة ، سواء

في الوديان أو السهول ، أو حتى الجبال ، ودمرنا كل قيراط تم

زرعه بالحشائش ، الذي يستخدم في صنع المخدرات .

عصام (في تساؤل :

— كيف تبرؤ ما يحدث إذن ؟

تهنّد (عادل) في عبق ، قائلاً :

— لست أدري يا (عصام) .. لست أدري .

وزفر في عبق مرة أخرى ، وضرب بصره ، مغفناً :

— حقيقة لست أدري ..

توقفت سيارة (هاشم) مرة أخرى ، أمام فندق

(شيرون) الجزيرة ، وأسرع مائقه يفتح باب السيارة

الحلفي ، وهو يبحى تلك الانحناءة ، التي تجعله أشبه بالرقم

(ثمانية) ، إلا أن أحداً من عدم الفندق لم يتحرك قيد الخلة ،

وقد استوعبوا درس الأس ، فتركوا (هاشم) يدلف إلى

الفندق وحده ..

وفي هذه المرة كانت استحكامات الأمن جيّدة ، فقد تنكّر

أحد رجال الشرطة في زي خديم الفندق ، ووقف في الطابق

الثالث ، على حين وقف آخر في جو الفندق ، يراقب (هاشم)

في اهتمام ، وهو ينظر المصعد ..

أما مسئول الأمن بالفندق ، فقد اتجه نحو المصعد في هدوء ،

وقال لـ (هاشم) في بساطة :

— كيف حالك يا (هاشم) بك ؟ .. كم يستعدنا أن نشرقنا

بالإقامة في فندقنا ، ليومين متتالين .

ابتسم (هاشم) ، وهو يقول :

— أهو أمر نادر إلى هذا الحد يا (فؤاد) ؟

ابتسم (فؤاد) بدوره ، قائلاً :

— بالتأكيد ، فهذا لم يحدث من قبل أبداً .

استقل الاثنان المصعد ، وسط عدد من النزلاء الآخرين ،

ولم ينس (فؤاد) أن يشير لرجل الشرطة السري بمرافقة

المدخل سراً ، قبل أن يغلق باب المصعد ..

وعندما بلغ المصعد الطابق الثالث ، تحفّر رجل الشرطة ،

الذي يتحلل صفة الخادم ، و.....

ولكن (هاشم) لم يغادر المصعد في الطابق الثالث ..

لقد واصل صعوده في هدوء ، حتى الطابق السادس ،

حيث جناحه الخاص ، وشكر عامل المصعد بابتسامة هادئة ،

بخللاف عادته ، ثم اتجه إلى جناحه في بساطة ..

وأصيب الجميع بدهشة عارمة ..

لقد التقطوا مكالمة الزعيم لـ (هاشم) ، بواسطة أجهزة

المراقبة الحافية ، وعلموا أنه يأمره بالإلقاء به ، في نفس الموعد

والمكان ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ..

كان من الواضح أن (هاشم) يعلم أنه مراقب ..
ولكن كيف ؟ ..

كيف علم ؟ ..

لقد بدا (فؤاد) ، مسرول الأمن ، متجبراً بالغضب ،
وهو يقول لأحد الشرطين السريين في حدة :

— ماذا حدث بالضبط ؟ .. كيف فشلت خطة المراقبة ؟
غمغم الشرطي في ارتباك :

— لست أعلم .. لقد كان كل شيء يسر على ما يرام .

عقد (فؤاد) حاجبيه ، وقال :

— إلا إذا ..

أثارت عبارته انتهاء الشرطي السري في حدة ، فقال في
اهتمام :

— إلا إذا ماذا ؟

غمغم (فؤاد) في لونه :

— إلا إذا كانت تلك العبارة شفرية .

هتف الشرطي في دهشة :

— ماذا ؟ .. ولكنه جاء في موعده .

قال (فؤاد) في انفعال :

— ربما كان الموعد صحيحاً ، ولكن الأسلوب يختلف .

ثم التفت إلى الشرطي ، قائلاً :

— قل لي ، هل تراقبون جناح (هاشم) ؟

أجاب الشرطي :

— بالطبع ، فزميل يقف في الممر الخاص به ، ولن يغادره

قبل أن يغادر (هاشم) الفندق كله .

مطأً (فؤاد) شفتيه ، وقال :

— هذا لا يكفي .

ثم استطرد في حزم :

— الجناح المجاور لجناح (هاشم) خالي ، سأبقى داخله ،

وأراقبه طيلة الوقت ، وعليك أنت بمراقبة مدخل الفندق .

أجاب الشرطي في حماس :

— سأفعل .

وبدأت عملية مراقبة دقيقة ، تمهيداً للإيقاع بالزعيم ..

زعيم الثعالب ..

— أعي أنك قد صرت ورقة محترقة يا (هاشم) .. ورقة
قد تجلب الحسارة ، ولكنها لا تساعد أبداً على الريح .
لوح (هاشم) بذراعه في رعب ، وهو ينف :
— كلاً أيها الزعيم .. أرجوك .. إنني لست ..
ولكن فوهة مسدس الزعيم ، المزودة بكام للصور ،
أطلقت رصاصة واحدة صامتة ، بدت أشبه بالقصيح ،
جحظت بعدها عينا (هاشم) ، ولوح بذراعه في ذعر ، ثم
سقط جثة هامدة ..



كانت عقارب الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بقليل ،
عندما فوجئ (هاشم) بالزعيم يذلف إلى حجرته ، فهب من
فراشه ، وهتف في احترام :
— مساء الخير أيها الزعيم .. إنني لم أتوقع أن ..
قاطعه الزعيم في صرامة :
— لماذا يرايقوك يا (هاشم) ؟
شحب وجه (هاشم) ، وامتنع في رعب ، وهو يغمغم
مرتبكاً :
— لست أدرى أيها الزعيم .. صدقتي لست أدرى .. ولما
كانت لديهم بعض الشكوك ، ولكن أؤكد لك أنهم لا يملكون
دليلاً واحداً ضدى ، و.....
قاطعه الزعيم في صرامة مخيفة :
— لا تفارق يا (هاشم) .
بدا وجه (هاشم) شاحباً كالنوق ، وهو يغمغم :
— ماذا تعنى أيها الزعيم ؟
تراجع في هلع ، عندما رفع الزعيم فوهة مسدسه في
وجهه ، وهو يقول في برود :

٩ - المفاجأة ..

« قبل ؟ .. »

هاتف (عادل) بالكلمة لي ذعر ، واحتضن وجهه في ألم ، وهو يستطرد :

— يا إلهي .. كيف حدث هذا ؟

راح يستمع إلى محذره ، عبر أسلاك الهاتف ، ثم غمغم في غضب :

— سأحضر على الفور .

سأله (عصام) ، الذي صار نائراً ما يقادر مكتبه :

— ماذا حدث ؟

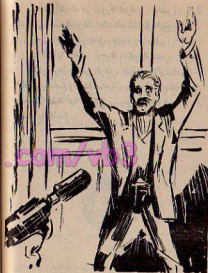
التفت إليه (عادل) ، وهو يقول في غضب :

— لقد قُتل (هاشم مندور) منذ ربع ساعة .

هاتف (عصام) في ذهول :

— قبل ؟ .. مستحيل !! .. من فعل به ذلك ؟

نوح (عادل) بذراعه ، وقال في حدة :



نوح (هاشم) بفروحه في رعب ، وهو يتف ..

— كلاً أيها الزعيم .. أرجوك ..

— لقد ألقوا القبض على (حامد منصور) ، وهو يقاتر
جناح (هاشم) شاحياً مرناخاً ، ولكنه يؤكد أنه قد وجد
(هاشم) قتيلاً ، عندما دخل جناحه .

هَبْ (عصام) من مقعده ، وقال في الفعل :

— هيا نذهب إلى هناك .. لن أترك (حامد) في هذا

الموقف أبداً ..

صاح به (عادل) في صرامة :

— إنك لن تذهب إلى هناك أبداً .

هتف (عصام) في حق :

— مستحيل !.. لقد ساعدني هذا الرجل كثيراً ، ولن

قاطعته (عادل) في حزم :

— قلت لك لن تذهب .

هتف (عصام) في غضب :

— اسمع يا سيادة العقيد ..

صرخ به (عادل) في غضب :

— اسمع أنت يا (عصام) إننا لا نلهو ، وما فعله ليس

بمجرد لعبة .. إننا نقاتر بأرواحنا ، في سبيل مبدأ نؤمن به ، وهذا

المبدأ يحتاج منا إلى تضحيات كثيرة ، وعصومنا لا يفرون لنا أية

لحظة ضعف ، مهما بلغت ضآلتها ، بل يستغلونها لتحطيمنا
تحطيماً ، ونزقنا بلا رحمة ، والأمر برمته عبارة عن حرب
عروس ، لا هوادة فيها ، ولا مكان للمهزوم ، فإما أن تنصر ،
أو تموت ، وعليك أن تتحدد بذلك منذ هذه اللحظة ، فأنا أكره
الجندي ، الذي يفر من ميدان القتال ، فإما أن تسحب الآن ،
قبل أن تبدأ المعركة ، أو تواصل القتال حتى النهاية ، مطيعاً
للأوامر ، ومتأزلاً عن كل عواطفك الشخصية .. ما قولك ؟

احتض وجه (عصام) ، وعاد يجلس في بطة واستسلام ،
ثم انقلب برأسه ، وعلمهم :

— ألا يمكنني الذهاب كصحفي ؟

أجابته في حزم :

— كلا ، إن صالح الحطة يحتاج منك أن تبعد عن ذلك

الأمر تماماً .

وارتدى سترته في عصبية ، مستظراً :

— لقد أخطأنا بوضع كل البيض في سلة واحدة ، كما يقول

الإنجليز ، فلقد بنينا خطتنا كلها على (هاشم) ، وموته المفاجئ

هذا يدمر خطتنا كلها ، ويبقى لنا أن نترتب طويلاً ، لتعرف

موضع أقدامنا ، قبل أن تنتقل إلى الخطوة التالية .

وبدا شديد الحق ، وهو يستطرد :

— لو كانت هناك خطوة تالية .

هتف (عصام) في توتر :

— قل لي .. من قتل (هاشم) ؟ .. ولماذا ؟

أجابته في عصبية :

— أما عن قتل ، فهو الزعيم ولا شك .. أما لماذا ؟ ،

لهذا هو ما يفتنى ، فإما أنه قد قتل ، لأنه عرف أنه مراقب ،

وإما أنه قد قتل ذلك لأنك خدعته ، ومن الضروري أن نعرف

السبب الحقيقي ، قبل أن نقدم على أية خطوة تالية ، وإلا ...

زفر في عنف ، واستطرد في حدة :

— وإلا كان هذا يعني موتك .. موتك على يد هؤلاء

التعالب ، الذين لا يرون إلا من دماء الأبرياء .

شحب وجه (عصام) في قوة ، على حين أغلق (عادل)

الباب خلفه في عنف ، وانطلق يبحث عن الحقيقة ، في قضية

الأشرار ..

أشراق الجزيرة ..

بدا (حامد منصور) يحضن الوجه في شدة ، وهو يتف :

— إنني لم أقتله .. هل فقدتم عقولكم ؟ .. كيف يمكن

لكهل مثل أن يقتل شاباً فياً ، مثل هذا الرجل .

أجابته (عادل) في برود :

— القتل بالرصاص لا يحتاج إلى القوة ، فالصياد يقتل به

لهلاً كاملاً في الأذغال .

هتف (حامد) في عصبية :

— اسمع يا هني .. إنني أكره الحوارات الفلسفية ، وليس

لدي ما أذافع به عن نفسي ، فكل ما حدث هو أن أحدهم قد

التصل في جناحي ، وطلب مني الحضور إلى هذا الجناح ، لأمر

بالغ الأهمية ، وعندما أتيت ، وجدت هذا الرجل قتيلاً .

التفت (عادل) إلى الشرطي السرى ، الذي كان يراقب

الممر ، وسأله :

— هل دخل شخص آخر إلى هذا الجناح ، بخلاف السيد

(حامد) ؟

أجابته الشرطي في احترام :

— كلاً يا سيدي .. لم يدخل سواه ، بخلاف السيد

(هاشم) بالطبع .

عاد يسأله :

— هل يوجد مدخل آخر لهذا الجناح ؟

أجابه (فؤاد) هذه المرة :

— كلاً .. هذا هو المدخل الوحيد .

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

— فيما عدا النافذة بالطبع .

صاح (حامد) في غضب :

— هل سأتبقى هنا طويلاً ؟

التفت إليه (عادل) ، وقال في حزم :

— أنت متهم بجرعة قتل ، ومن المحتمل ألا تعود إلى جناحتك

هذا أبداً ، لقد تسببت بوزنائة وطيلة

قاطعه صوت صارم ، يقول :

— هل تراهن ؟

التفت (عادل) إلى مصدر الصوت في حدة ، ورأى أمامه

رجلاً وقوراً ، تشق كل حلجة من علقاته عن الصرامة والحزم

والصلابة والعداء ، يستطرد :

— أنا (برهان شريف) .. محامي الأستاذ (حامد) .

كان اسم (برهان) وحده ، وشهرته المائلة في عالم المحاماة ،

يكفيان ليقطب (عادل) حاجبيه في غضب ، ويقول في حدة :

— أنت غنى عن التعريف يا أستاذ (برهان) ، ولكننى

أظن أن موقفك عسير هذه المرة .

ابتسم (برهان) في سخرية ، وهو يقول :

— هل تظن ذلك ؟

ثم أشار إلى مدخل السلم ، مستطرداً :

— لقد كنت أتف هناك أيها العليل ، وسمعت معظم

الحديث ، ولولا تقضى في سلامة موقفى ، ما اتخذت بكل هذه

الثقة .. لقد أشار أحد الشهود إلى أنه لم يسمع صوت طلقة

رصاص ، وأشار آخر إلى احتمال دخول شخص آخر من

النافذة ، ولم يؤكد أى شاهد أن موكل كان يحمل مسدساً ،

وهكذا يكون هناك شك ، والشك يؤول في القانون للصلحة

للمتهم ، وهكذا يمكننى إخراج موكل بكفالة ، و.....

ولقد فعل ..

ابتسم (برهان شريف) في لفة ، وهو يجلس مع

(حامد) ، في جناح هذا الأخير ، وقال :

— هل رأيت ياسيد (حامد) ؟ .. لقد هزمت الجميع .

زججر (حامد) في غضب ، وهو يقول :

— هزمت من ؟ .. كل ما فعلته هو أن أخرجني بكفالة .

عقد (برهان) حاجيه ، وهو يقول :

— ألا تعتبر هذا انتصاراً ؟

مطّ (حامد) شفيه ، وهو يقول في حدة :

— ليس بعد .. ما زالت هناك محاكمة .

هتف (برهان) :

— هل تراهن أن .. ؟

قاطعه (حامد) في غضب :

— صه .. أنت لا تصلح لهذا الأمر .. انه يحتاج إلى شخص

آخر .

هتف (برهان) في استنكار :

— محام آخر .

هزّ (حامد) رأسه نفيًا ، وقال :

— بل صحفى .

والقط سماعه هاتف حجرته ، مستطردًا :

— صحفى يُدعى (عصام كامل) .

عقد (صفوان) حاجيه الكثير ، وهو يدلف إلى شفته .

عندما التقط أنفه رائحة عطرة ، لم يألف مثلها من قبل .

ولفزت يده نحو مسدسه في حدة ، عندما سمع صوتًا يقول في

حزم :

— أغلق الباب خلفك يا (صفوان) .

انفتح (صفوان) مسدسه ، وقفز يقضى نوري الرعدة ،

ويصوب مسدسه نحو ذلك الرجل ، الذي وقف يتطلع إليه في

هدوء ، هاتفًا :

— من أنت ؟ .. وكيف دخلت إلى شفتي ؟ .. تكلم قبل أن

تخترق رصاصي رأسك .

أطلق العقب من عيني الرجل الصارمين ، وهو يقول :

— إنني زعيمك أيها الغنى .

السعت عينا (صفوان) في ذهول ، وهو يهتف :

— الزعيم ؟ .. الزعيم الكبير ؟

ثم عاد حاجياه يتعقدان في حدة ، وهو يستدرك :

— ولكنني لم أرك من قبل . فكيف أتق بآنك ..

قاطعه الزعيم في صرامة :

— هل أصف لك معمل الجزيرة ؟ .. أم أخبرك باسمك

الكودي باسمك القرش ؟

شحب وجه (صفوان) ، وأسرع بخلع ثوبه مسدده ،
هاتفاً :

— الزعيم !!.. ياله من شرف لي ..! لقد كان السيد
(هاشم) وحده يراك ، و.....

فاطمة الزعيم في حزم عجيب :

— لقد انتقل ذلك الشرف إليك ، أعيازا من الليلة .
تألفت عينا (صفوان) في النهار ، وهتف :

— و.. وماذا عن السيد (هاشم) ؟

أجابته الزعيم في صرامة :

— لقد قُبل .

هتف (صفوان) في هلع :

— قُبل !!.. من قبله ؟

أجابته الزعيم في حزم :

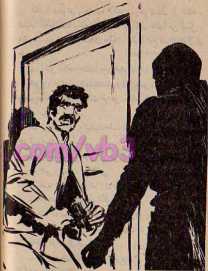
— أنا .

شحب وجه (صفوان) ، وهو يفهم في رعب :

— أنت ؟

هدر صوت الزعيم ، وهو يقول :

— هل تعرض على ذلك ؟



وفكرت يده نحو مسدده في حدة ، عندما سمع صوتا يقول في حزم ..

— أغلق الباب خلفك يا (صفوان) ..

تراجع (صفوان) ، هاتفا :

— كلاً .. كلاً أيها الزعيم .. هذا شأنك .

اتسم الزعيم في سخرية ، وقال :

— عظيم .. والآن سيكون عليك تنفيذ أوامري .

هظ (صفوان) :

— على الأرحب والسعة أيها الزعيم .. مر نحدثي رهن

إشارتك .

حناقت عينا الزعيم ، وهو يقول :

— سيخص أول أوامري إليك بشخص يمنى أمره جدًّا .

سأله في حماس :

— من هو ؟

برقت عينا الزعيم ، واتجهتا على نحو خفيف ، وهو يقول :

— (عصام) .. (عصام كامل) .



١٠ — الجزيرة ..

جلس (عصام) شارداً ، في قسم الحوادث بالجريدة ،

يسترجع أحداث الشهرين الماضيين ..

كانت فترة عصية مخيفة في حياته ..

فترة تعلم فيها الكثير ..

الكثير جدًّا ..

من المؤكد أنه لم يعد هو نفسه (عصام) ، الذي كان منذ

عامين .. لقد صار شخصاً آخر ..

شخصاً يختلف تمامًا عن ذي قبل ..

لقد تحول من إنسان وديع مسالم ، إلى مقاتل عنيد شرس ..

لقد اختلف منحنى حياته تمامًا ، منذ عرف (عصام)

(و غلا) ، وشاركتها تحقيقاتهما البوليسية ..

ثم اختلف منحنى حياته مرة أخرى ، عندما التقى

بـ (عادل محمود) ..

لرى هل سيختلف منحنى حياته مرة ثالثة ؟ ..

هل يستمر حياته أصلاً ؟

أفاق من أفكاره على صوت زميل له ، يقول في توتر :

— (عصام) .. هناك زائر يطلب رؤيتك .

رفع (عصام) عينيه إليه ، وغمغم في شروء :

— زائر ..؟ أى زائر هذا ؟

أجابته زميله في توتر :

— إنه لم يفصح عن اسمه ، ولكنه مظهره مخيف .

ومال نحوه ، مستطرذا في خوف :

— إنه يشبه كنج كونيغ^(١) .

شعر (عصام) بقلبه يرتجف بين ضلوعه ، وهو يغمغم :

— كنج كونيغ ..؟

لم يكذب يتم عبارته حتى رآه أمامه ..

نفس الوجه الغليظ الملامح ، القاسى .. الخفيف ..

نفس الوجه ، الذى يبعد إليه ذكرى المذبحة ..

وجه (صفوان) ..

(١) كنج كونيغ : شخصية خيالية ، ابتكرها السينما الأمريكية في الثلاثينات ، وهي عبارة عن فرد هائل الحجم ، قبيح الهيئة ، جعلته السينما ييزم نيويورك كلها ، ويتحطم مبانها ، واسطرها الجوى ، ولقد ظهر له فيلم حديث ، حوى أحدث ما ابتكرته التكنولوجيا .

وامتقع (عصام) ، وظل يحدق في وجه (صفوان) ،

الذى قال في هدوء :

— هيا .

ومرة أخرى عاوده نفس الرعب ، الذى ينزل كيانه ،

كلما رأى وجه (صفوان) ، فاختلق صوته ، وهو يغمغم :

— إلى أين ؟

أجابته في حسم :

— ستعلم فيما بعد .

ولم يستطيع (عصام) المقاومة ..

بل لم يستطيع المرافقة ..

لقد نهض في استسلام ، وقال لرئيس القسم بصوت شاحب

متقطع :

— سأغادر الجريدة ، فلدى عمل هام .

عقد رئيس القسم حاجبيه في قلق ، وقال في صوت صارم :

— (عصام) .. هل تغادر المكان بإرادتك ؟

حاول (عصام) أن يتسم ، إلا أن اتسامته جاءت باهتة ،

ضائعة ، وهو يقول :

— بالطبع .. من يمكنه أن يجبرنى على فعل ما لا أريد ؟

ثم غادر المكان مع (صفوان) ، الذي لم ينطق بحرف واحد ، حتى غادر الجريدة ، فأشار إلى سيارة فاخرة ، وقال :
— اركب .

ذلف (عصام) إلى السيارة في صمت واستسلام ، وجلس (صفوان) إلى جواره ، وأمر السائق بالانطلاق ، فغمغم (عصام) في شحوب :

— إلى أين ؟

أجابه (صفوان) في برود :

— ستعلم فيما بعد .

لاذ (عصام) بالصمت التام ، وحل إلى أن السيارة تطلق به إلى حفه ، وكان وجود (صفوان) إلى جواره يلجم لسانه ، ويحث الرعب في قلبه ، حتى أنه لم يجرؤ على إلقاء سؤال واحد ، حتى وجد السيارة تطلق خارج (القاهرة) ، فهتف في فرح :

— إلى أين ؟

أجابه (صفوان) في برود :

— أنت تكثر من الأسئلة يا سيّد (عصام) .

غمغم (عصام) في توتر :

— لا بد أن أعرف .

ابسم (صفوان) في سخرية ، وهو يقول :

— وماذا ستفعل بعد أن تعرف ؟

أجابه في حدة :

— المهم أن أعرف .

التفت إليه (صفوان) في هدوء ، وخدجه بنظرة جمّدت

الدم في عروقه ، وهو يقول :

— هل عرفت أن (هاشم) قد قُتل ؟

أجابه في شحوب :

— نعم .

لاح شبح ابتسامة ساخرة على شفתי (صفوان) ، وهو

يقول :

— كيف تصوّرت أن تحرق الأمور بعد مصرعه ؟

غمغم (عصام) :

— تعود إلى السابق .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول في سخرية :

— خطأ .

ثم اعتدل ، مستطرذا :

— ستصبح الأمور أفضل .

وبعدها لاذ بصمت طويل ، حتى انحرفت السيارة في طريق معروف ، فغمغم (عصام) :

— هل ستذهب إلى (الفردقة) ؟

أجابته (صفوان) في برود :

— كممرحلة أولى .

لم يعد (عصام) يحمل أسلوبه ، فهتف في حق :

— وبعدها إلى (شدوان) .. أليس كذلك ؟

ابتسم (صفوان) في سخرية ، وهو يقول :

— يبدو أنك ذكي بالفعل ، كما يقولون .

هتف (عصام) في حدة :

— نعم .. يبدو ذلك ..

مال (صفوان) نحوه ، وقال في سخرية :

— رائع .. هل يمكنك أن توضح كيف ستذهب إليها ؟

هتف (عصام) في تحد :

— بواسطة مركب صيد .

هزّ (صفوان) رأسه نفياً ، وقال في برود :

— خطأ .

ثم ابتسم مستطرداً :

— ستذهب إليها في غواصة .



١١ - وكر الأشرار ..

لم يفارق الذهول (عصام) لحظة واحدة ، منذ بدأت الرحلة البحرية إلى (شدوان) ..

لقد استقل مع (صفوان) زورقًا بخاريًا خاصًا من الغردقة ، انطلق بها إلى عمق البحر ، ثم توقف ، فقال (صفوان) :

— اسعد .. سننزل الآن إلى الغواصة .

هتف (عصام) في ذهول :

— الغواصة ؟

لم يكذب يتم عبارته ، حتى شعر باحتياج قوى في الزورق ، وقبل أن يتسائل عن سببه ، انزع جزء من قرار الزورق ، وظهر تحته مكان واسع ، جعل (عصام) يهتف :

— من أين جاء هذا المكان ؟

أجاب (صفوان) مزهواً :

— إنها غواصتنا الخاصة .. لقد صممناها والزورق على نحو خاص ، يجعلها لتلتصق بقاربه ، ليصبحان جزءاً واحداً ، ويصبح الانتقال من أحدهما إلى الآخر أمراً بسيطاً ، يمكن أن يتم في سرعة ، ودون أن يلحظه أحد ..

غمغم (عصام) مشدوهاً :

— يا إلهي !

أشار إليه (صفوان) ، قائلاً لهجة امرأة :

— ها .. سننزل إلى الغواصة .

أطاعه (عصام) ، وانتقل معه إلى الغواصة ، التي

انفصلت عن قرار الزورق ، وانطلقت نحو الجزيرة ، فهتف (عصام) :

— كم تكلفكم هذا ؟

أجاب (صفوان) ساخراً :

— هذا أمر ناه ، لم يتكلف سوى بضعة ملايين فحسب .

ثم مال نحوه ، مستطرداً :

— إنك لم تر العمل والمزرعة بعد .

غمغم (عصام) مشدوهاً :

— العمل والمزرعة ؟

أجاب (صفوان) ، وهو يلوح بذراعه في استهزاء :

— نعم .. إنها تحفة الزعيم .. تحفة كل العصور .. لقد

تكلفنا مليار جنيه تقريباً ، ولكنها يدرآن مليارات .

— ثم استطرد في ارتياح :

— وسرعان ما بعد لحظات ، فقد وصلنا .

صمت (عصام) غامًا ، وهو يشعر بالغرابة ترتفع إلى السطح ، وأشار إليه (صفوان) بالصعود ، قائلًا :
— هيا .. سأبعثك .

صعد (عصام) في قلق وتردد ، دون أن يدري أين هو ..
كل ما أدركه هو أنه في مكان مغلق ، تضيقه المصاييح الضوئية ، عل الرغم من أنهم في وضوح النهار ..
ولجأة رأى كل شيء ..

وأصابه الذهول ..

ذهول حقيقي ..

ذهول رهيب ..

لقد عرف الآن جواب سؤاله ..

عرف لماذا (شدوان) ؟ ..

لماذا تلك الجزيرة بالذات ؟ ..

كيف لم تمنعه من الانصراف ؟

هاتف (عادل) بهذه العبارة في توتر بالغ ، فارتبك رئيس

قسم الحوادث ، وهو يقول :

— لقد سألت (عصام) عما إذا كان ينصرف بمحض إرادته ، فأكد لي ذلك ، ثم إن الرجل لم يكن يحمل أية أسلحة ،
.....و

صاح (عادل) في عصبية :

— كان يحمل ما هو أخطر من الأسلحة .

غمغم رئيس القسم في توتر :

— وما الأخطر من الأسلحة ؟

أجابته (عادل) متوترًا :

— الخوف .

ثم ترقب بذراعيه ، مستطردًا :

— إن هذا يعني أننا قد فقدنا (عصام) .. فمنه لا نعلم

مع من انصرف ، وإلى أين ذهب .. لقد فقدنا أثره .

شحب وجه رئيس القسم ، وهو يسأله :

— هل يتعرض (عصام) لخطر شديد ؟

قلب (عادل) كليته ، وهو يقول :

— من يدري ؟ .. ربما كان في أمان ، وربما يتعرض لخطر

دايم ..

وبكى صوته بلا دموع ، وهو يستطرد :

— خطر الموت بلا رحمة ..

تطلع (عصام) مبهوذاً مشدوهاً إلى ذلك الصرح

الضخم ..

معمل كامل لتكرير وصنع الميرون والكوكاكين ، في قلب

الجزيرة ..

معمل من أحدث المعامل في هذا الضخم ..

وجهاز توليد كهرباء خاص ..

ومزرعة ..

أعجب ما في الأمر هي هذه المزرعة ..

مزرعة ضخمة صناعية ، يرويا نظام رى بالغ الحديثة ،

وتقنيها بعض المصايح الصناعية الضخمة ، ما يعوضها عن

أشعة الشمس ..

مزرعة للخشخاش ..

تلك الزهرة اللعينة ، التي يُستخرج منها معظم المخدرات ..

وكان الأمر كله يبدو أشبه بمشروع متكامل ..

ولقال (صفوان) ، وهو يشرحه لـ (عصام) :

— إنه أعظم مشروع متكامل للمخدرات .. من البداية إلى

النهاية ، فيها لزوع الخشخاش ، ثم نصّعه ، ونستخرج منه

الأفيون ، والميرون ، والكوكاكين ، وحتى الخشيش .. ويتم

تعبئة كل الأصناف ، وإعدادها للتصدير .

غمغم (عصام) في دهشة :

— التصدير ؟

أجاب (صفوان) في زهو :

— بالطبع .. أتظن عملنا يقتصر على (مصر) وحدها ..

كلاً يا فتى .. إنما نصّدر منتجاتنا للوطن العربي كله ، من المحيط

إلى الخليج

كاد (عصام) يصرق في وجهه ، وهو يسمعه ينطق هذه

العبارة ..

كاد يصرخ قائلاً : إنه يسيء بقوله هذا إلى العالم

العربي كله ..

ولكنه لم يفعل ..

لقد كم غضبه كله في أعماقه ، وسأل (صفوان) :

— كيف أقدم كل هذا ؟

أطلق (صفوان) ضحكة عالية ، وقال :

— إننا لم نقم سوى المشآت ، فلقد كان كل هذا قائما ،
منذ الحرب العالمية الأولى ، ثم هجره من أنشأه لسبب ما ، دون
أن يبدل بسره ، فبقى المكان مجهولا ، بمدخله الخفض تحت الماء ،
حتى كشفه الزعيم ، فحوّله إلى ذلك المكان الرابع ، الذى
تراه الآن .

وضحك مرة أخرى ، مستطردا :

— عبقرى هو هذا الزعيم .. أليس كذلك ؟

غصم (عصام) :

— بل .

وراح يتأمل فى المكان مرة أخرى ، قبل أن يسأل :

— من الطبيعى أن الشرطة لم تكشف أمركم أبدا .

قال (صفوان) فى سخرية :

— الشرطة ؟؟

وأطلق ضحكة ساعرة عالية ، قبل أن يضيف :

— إننى أكره الشرطة ، كما لم أكره أى شيء آخر فى حياتى

كلها ، ومنذ شهرين ، أعدت لنا رجال الشرطة كمينًا ، عن
طريق مرشد من رجالهم ، الذين فى صفوفنا ، ولكننا لقناهم
درمنا لن ينسوه أبدا ، و.....

بتر عبارته بركة ، وانعقد حاجباه الكبيرين فى عصف ، والفت
إلى (عصام) فى حركة حادة ، وهو يقول فى شراسة :

— نعم .. كمين الشرطة منذ شهرين .

شحب وجه (عصام) ، وانقبض قلبه فى رعب هائل ،
وهو يحدق فى وجه (صفوان) الخفيف ، الغليظ الملامح ، وهذا
الأخير يستطرد فى وحشية :

— لقد تذكرت الآن أين رأيتك .

وقبل أن ينطق (عصام) بحرف واحد ، ارتفعت فوهة

مسدس (صفوان) فى وجهه ، وسمعه يقول فى وحشية
وشراسة :

— لقد عرفتك .. لقد عرفتك .

واستلقت نفس (عصام) برعب هائل ، وتجمد جسده

ذعرا ، وراح يحدق فى فوهة المسدس ، التى أطل منها الموت ..

الموت بلا رحمة ..

النهاية الجزء الأول

وبلغة الجزء الثانى

(قضية زعيم الثعالب)